محمود حمـــــدى زقـــــزوق

الصديق والأستاذ والمحاور والمصلح والفيلسوف

د. حسن حنفى(*)

١- الصديق

رأيته لأول مرة عام ١٩٧٦ فى اجتماع بمنظمة التربية والثقافة والعلـــوم عندما كانت فى الدور الخامس فى إحدى العمارات المرتفعة بالدقى لعمل خطـــة لإحياء التراث العربى الإسلامى. وعرضت تصنيف القدماء للعلوم على ثلاثـــة أنواع: العلوم النقلية العقلية الأربعة: علم أصول الدين، علم أصول الفقه، وعلوم الحكمة، وعلوم التصوف، والعلوم العقلية الخالصة، الرياضـــية مثـــل الحـــساب والفلك والجبر والهندسة والموسيقى، أو الطبيعية مثل المعادن والنبات والحيوان والطب والصيدلة، والعلوم النقلية الخالصة الخمسة: القرآن والحديث والتفـــسير والسيرة والفقه. وسرعان ما وافقنى بعد أن اختلف الأعضاء مدة حـــول أفـــضل تقسيم. رأيت فيه الحكمة والاتزان والموضوعية والتجرد عن الذات وقلة الحديث والصبر والعقلانية والصوت المنخفض وحسن المعاملة والاستماع لمـــا يقولـــه الآخرون قبل التعبير عن رأيه وإسماعه. كان ذا علم راسخ، وعقل راجح، ونفس طويل، وقصد خالص، وصدر رحب. ثم توقف المشروع بعد زيارة القدس فـــى نوفمبر ١٩٧٧، واتفاقية كامب ديفيد فى ١٩٧٨ ومعاهدة الـــسلام بـــين مـــصر وإسرائيل فى ١٩٧٩، ونقل الجامعة العربية من القاهرة، ونقل نشاطها إلى تونس وفى سنوات القطيعة بين مصر والوطن العربى.

وانقطعت بنا السبل حتى ربطتنا الجمعية الفلسفية المـــصرية مـــن جديـــد وانضمامه إليها عضوا وهو عميدا لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر مع كثيـــر

(*). أستاذ الفلسفة غير المتفرغ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر.

من أساتذة الكلية. وكنت أراه كيف يدير الكلية بروح الأب والأستاذ والزميل دون تعال أو ترفع أو زهو. مكتبه مفتوح دون سكرتارية التى كانت على الصف الآخر. يجلس الجميع معا كأنهم فى رواق من أروقة الأزهر العريقة. كان بملابس مدنية غربية، ولكن روحه كانت أزهرية إسلامية شرقية. كانت رأسه عارية بلا طربوش ولا عمة. فما بها من حكمة ترفض كل غطاء عليها. لم يكن يرفض لنا طلبا. كان دائما فى خدمة الجميع، وتحت تصرف الكل. يفعل ما فيه الصالح العام. كان أكثر من عميد، يدير أمة مصغرة، أمة الكلية والجامعة قبل أن يتولى شئون المسلمين. كان قادرا عل التعامل مع جميع المجموعات والشلل من أساتذة الفلسفة فى مصر. كان أبا للجميع، قادرا على الحوار مع أبنائه مهما تشعبت أهواؤهم وتضاربت مصالحهم، وتباعدوا فى الزمان والمكان. كان كبير العائلة طبقا للمثل المصرى المعروف "أكبر منك بيوم يعرف عنك بسنة". يضاف إلى ذلك جسده المعتدل، وقوامه الرشيق، ولباسه الأنيق. وجلسته وراء مكتب العمادة تحسبه زعيما أو قائدا أو إماما أو بتعبير الفلاسفة "الشيخ الرئيس". كان يستحق أكثر من المنصب الذى هو فيه.

وانتخب رئيسا للجمعية عام ١٩٩٦. وكان على ما أذكر رابع رئيس لها وأطولهما مدة بعد إبراهيم بيومى مدكور، وأبو الوفا التفتازانى، ومحمد عبد الهادى أبو ريدة. وفى رئاسته تحولت الجمعية من ضيف ثقيل على قسم الفلسفة بآداب القاهرة إلى مؤسسة مستقلة لها مقرها وميزانيتها وندواتها الشهرية ومؤتمرها السنوى وإصداراتها وسمعتها فى الداخل والخارج. أصبحت بيت الفلاسفة المصريين والعرب. وكان بشخصه وحكمته وعمله وسيرته مانعا للصواعق فى زمن يُكفّر فيه الفلاسفة والمفكرون. لم يبخل عليها من ماله الخاص أو من جهده مع وزارة الثقافة أو محافظى الإسكندرية والإسماعيلية. ومازال يرعاها ويشرف عليها ويفتتح ندوتها السنوية. فأعطى الجمعية ثقلاً علميا

واجتماعيا وإداريا. أصبح عصبها ورأسها. تلجأ إليه الجمعية كلما ضاقت بها السبل، وانسدت أمامها الطرق.

وهذه تحية له فى عيده الماسى. فقد بلغ الخامسة والسبعين العام الماضى ٢٠٠٨. ويصدر هذا الكتاب التذكارى متأخرا عاما عن الموعد، بشارة بعمر مديد، بعد الاطمئنان على الجمعية ودورها التاريخى منذ ١٩٧٦ ما يزيد على الثلاثين عاما، جيلا بأكمله. فتستأنف الأجيال القادمة ما حاول هذا الجيل بناءه تواصلا مع أول محاولة لتأسيس الجمعية من منصور فهمى عام ١٩٤٤ وتوقفها بعد الحرب ثم استئناف محمود قاسم إصداراتها فى أوائل الثورة. من أعضائها: عثمان أمين، أبو العلا عفيفى وغيرهم من الأساتذة الراحلين.

وأكبر تحية للصديق هو عرض أعماله كما هى عليها حرصا على الموضوعية والحياد، وقراءة فكره من منظور آخر من أجل إثراء الفكر الفلسفى عن طريق الحوار. ودون ذلك يتحول الاحتفاء إلى مدح وإطراء. وهو ليس طريق الفلاسفة، **﴿قتل الخراصون﴾**، **﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾**.

ويمكن عرض الأعمال بطريقتين. الأولى العرض الموضوعى طبقا لتجميع الموضوعات المتشابهة فى محور واحد مثل الفلسفة الحديثة، الفلسفة الإسلامية، الفلسفة العامة، الفلسفة المقارنة، الاستشراق، الحوار الحضارى، علم الأخلاق، الواقع الإسلامى المعاصر. والثانية التطور الزمانى للمؤلفات التى تكشف عن مراحل الفكر. وربما تلتقى الطريقتان الموضوعية والزمانية أو ما يسميه البنيويون التزامنية Synchronic والتتابعية Diachronic فى محاور واحدة، أستاذ الفلسفة للطلاب، ومحاور الآخر للغرب. فالبنية لا تتعارض مع التاريخ. فإذا كان للصديق خمسة وعشرون عملا فإن أحد عشر عملا فى المرحلة الأولى وأربعة عشر عملا فى المرحلة الثانية. أما العمل الخامس والعشرون "الإسلام وقضايا الحوار" ٢٠٠٢ ، فهو ترجمة عربية للنص الألمانى

Der Islam und die fragen des Dialogs ٢٠٠٤ مع إضافة أربعة فصول جديدة فى الترجمة العربية. فالإنتاج غزير ومتنوع.

ويمكن عرض المحورين بطريقتين. الأولى الأعمال التى تكون كل محور، واحدا وراء الآخر حتى ولو تكررت الموضوعات. وهو تكرار زائد لا يفيد. والثانية تجميع الموضوعات داخل كل محور وتمثلها فى الأعمال. فالموضوع هو الأصل والكتاب هو الفرع. وهو الأفضل.

وهى قراءة من منظور مشروع "التراث والتجديد" من أجل إثراء المشروعين بالمقارنة بينهما كما حدث من قبل مع مشروع لامع آخر "نقد الفكر العربى"[١]. لا خطأ ولا صواب، بل تعدد وجهات النظر، فالصواب متعدد عن فريق من الفقهاء. ولا حق ولا باطل بل منظورا. والحق هو الجمع بينهما كما فعل الفارابى فى "الجمع بين رأيى الحكيمين". والمنظورات تتكامل ولا تتضارب. لا يوجد "رأى معاكس" بل "رأى بديل". وقد تتبدل الآراء بتبدل المواقف، وتتغير المنظورات بتغير العصور. كلانا من جيل واحد بفارق سنتين، كلانا من الأسرة الفلسفية. هو أزهرى أوروبى وأنا إخوانى أوروبى. هو إسلامى مستنير مثل معظم المصلحين، وأنا يسار إسلامى مازال يبحث عن رفيق مثل على شريعتى.

ويرحب الصديق بروح النقد لفكره إثراء للفكر الفلسفى ضد الصياغات المتحجرة. فالفلسفة لا تتوقف بل هى جهد مستمر[٢]. وطالما نبه على أهمية

---

(١). "نقد الفكر العربى" قراءة من وجهة نظر "التراث والتجديد"، محمد عابد الجابرى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٥.

(٢). "الفلسفة حركة مستمرة، والفكر الفلسفى لا يمكن أن يقف أو يجمد عند صيغ متحجرة ولكنه مستمر فى حركته وفى سيره وفى تدفقه طالما كان هناك إنسان فى هذا الوجود... إننا نرحب بكل نقد بناء يوجه إلى هذا الكتاب، ونفتح صدرنا لكل الملاحظات الجادة". تمهيد للفلسفة ص٦.

الاتجاه النقدى وحاجتنا إلى النقد. أشاد بكانط وبدور العقل فى النقد وبضرورة تجاوز القدماء والالتحام بقضايا العصر[1].

٢- الأستاذ.

ويمكن التعرف على ثلاث مراحل فى الحياة العلمية للصديق. الأولى الأستاذ عندما كان أستاذا بكلية أصول الدين فعميدا فنائبا لرئيس جامعة الأزهر على مدى عقدين من الزمان من سن الأربعين إلى الستين تقريبا منذ "مقدمة فى علم الأخلاق" ١٩٧٢ حتى "الإسلام فى تصورات الغرب" ١٩٨٧، أحد عشر كتابا، منهم مترجم واحد "مدخل إلى الفكر الفلسفى" لجوزيف بوخينسكى ١٩٧٣. ومراجعة واحدة "محاضرات فى فلسفة التاريخ لهيجل"، الجزء الثانى العالم الشرقى، ونشر واحد ١٩٨٦، ثلاث رسائل فى المعرفة للغزالى ١٩٧٢-١٩٧٩. يغلب عليها التأليف الجامعى لفائدة الطلاب كما يفعل معظم الأساتذة فى بداية حياتهم الجامعية، عندما كان أستاذ فعميدا لكلية أصول الدين[2].

فالكتاب الأول فى مرحلة الأستاذ حتى قبل نشر ملخص عربى للرسالة باللغة الألمانية عن الغزالى وديكارت، ملخص محاضرات الجامعة. الغاية من إفادة الطلاب فى مادة الفلسفة بوجه عام وعلم الأخلاق بوجه خاص وهو "مقدمة

---

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة ص١٨٣-٢١٤، نقد الآخر، ضرورة النقد الذاتى، هموم الأمة الإسلامية ص٢١٣-٢١٥.

(٢) "وكان الكتاب فى طبعتيه السابقتين عبارة عن ملخص للمحاضرات التى ألقيتها على طالبات كلية البنات الإسلامية بجامعة الأزهر فى العام الجامعى ١٩٧١-١٩٧٢ فى مادة علم الأخلاق"، مقدمة فى علم الأخلاق ص٧. "ونأمل أن تسهم هذه الطبعة الجديدة فى إثارة اهتمام طلابنا بالدراسات الفلسفية بوجه عام وحفزهم على المزيد من الاطلاع الجاد والدراسة العميقة فى مجال الدراسات الأخلاقية بوجه خاص"، السابق ص٩.

فى علم الأخلاق"[1].

كان للأستاذ مشروع فلسفى فى بداية حياته الجامعية، التأريخ للفلسفة خاصة الغربية مما يستطيع أن يفيد به طلاب الأزهر الأكثر تعودا على الفلسفة الإسلامية. وهو ثلاثية تضم "مقدمة فى علم الأخلاق" و"تمهيد للفلسفة"، وترجمة "مدخل إلى الفكر الفلسفى" لبوخينسكى[2].

كان للمشروع غاية عملية وليست غاية نظرية، الفلسفة العملية، الأخلاق والسياسة والاقتصاد، كما يقول القدماء وليس الفلسفة النظرية، المنطق والطبيعيات والإلهيات[3]. وأحيانا تظل الفلسفة نظرية خالصة كما هو الحال فى "تمهيد للفلسفة" فهو قسمان: مقدمات ومباحث[4]. المقدمات أربعة فصول. الأول "بين يدى الفلسفة" عن صلة الفلسفة بالفيلسوف ودوافع التفلسف ورسالة الفلسفة. والثانى مفهوم الفلسفة ومجالاتها. والثالث علاقتها بغيرها من المجالات، العلم

---

(١) تشمل هذه المرحلة الكتب الآتية: ١- مقدمة فى علم الأخلاق ١٩٧٢. ٢- تمهيد للفلسفة ١٩٧٦. ٣- مدخل إلى الفلسفة لبوخينسكى ١٩٧٣. ٤- المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت ١٩٧٩. ٤- مقدمة فى علم الفلسفة الإسلامية ١٩٧٧. ٥- ثلاث رسائل فى المعرفة للغزالى لم تنشر من قبل ١٩٧٢-١٩٧٩. ٦- دراسات فى الفلسفة الحديثة ١٩٨٤. ٧- محاضرات فى فلسفة التاريخ لهيجل، الجزء الثانى العالم الشرقى (مراجعة) ١٩٨٦.

(٢) "ويشكل هذا الكتاب، فى صورته الحالية مع كتابنا "تمهيد للفلسفة" وكتاب "مدخل إلى الفكر الفلسفى" لبوخينسكى الذى قمنا بترجمته من اللغة الألمانية وحدة واحدة. فهذه الكتب الثلاثة يكمل بعضها بعضا من حيث أنها تشكل سلسلة متشابكة الحلقات، تخدم هدفا واحدا وهو تمهيد السبيل أمام القارئ لدراسة الفلسفة بفروعها المختلفة ومنها الأخلاق"، مقدمة فى علم الأخلاق ص٨، تمهيد للفلسفة ص٤.

(٣) مقدمة فى علم الأخلاق ص٨.

(٤) تمهيد للفلسفة، مقدمات ص١١-١٠٥، مباحث ص١١-٢٦٩.

وتاريخ الفلسفة والدين. وقد يكون تاريخ الفلسفة أقرب إلى المنهج منه إلى المجال[1]. والمباحث تشمل مبحثين، المعرفة والوجود. وهما مبحثان نظريان فى المذاهب الفلسفية فى المعرفة مثل الشك واليقين أو فى الوجود، المادية قديما وحديثا بما فى ذلك المادية الجدلية والتفصيل فى المذهب الروحى والمذهب الثنائى. ولا يوجد مبحث للقيم وهو ما يمثل الفلسفة العملية. وهو كتاب جامعى أشبه بمقرر "المدخل إلى الفلسفة"، المساق العام للطلاب فى السنة الأولى. يدل على موضوعية وعلم وحياد، خال من المواقف الحادة والأحكام المسبقة.

والأستاذ مؤرخ للفلسفة، الإسلامية والغربية. فكتب "مقدمة فى الفلسفة الإسلامية" كتابا جامعا يتضمن ثمانية فصول. مفهوم الفلسفة، دور الإسلام فى تطوير الفكر الفلسفى الإسلامى، العقل ومجالاته فى فكر الغزالى، ابن رشد وآراؤه فى الصلة بين الدين والفلسفة، مكانة العقل فى فكر الشيخ محمد عبده، حول مفهوم التصوف الإسلامى، القيم الخلقية فى الفكر الإسلامى، هوامش على صلة الفلسفة الإسلامية بالفلسفة الأوروبية[2]. وهو مقدمة فريدة فى الفكر الإسلامى لا تتبع لا المنهج التاريخى ولا المنهج الموضوعى نظرا لأنها عدة مقالات متفرقة مجمعة فى ثمان فصول من وحى المناسبات يجمع بين ثلاث شخصيات، الغزالى وابن رشد ومحمد عبده[3]. ويعود الغزالى فى الأخلاق مع مسكويه وعلمين، التصوف والأخلاق. والأخلاق ليست علما مستقلا فى الفكر الإسلامى عن أصول الدين وأصول الفقه وعلوم الحكمة والتصوف بل والعلوم النقلية الخمسة، القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه، بل والعلوم الرياضية، الحساب والجبر والهندسة والفلك والموسيقى كما هو الحال عند إخوان الصفا،

---

(١) السابق ص٧١-٧٧.

(٢) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٧٧.

(٣) السابق ص٥١-١٥٧/١٨٩-١٩٠.

والطبيعية، النبات والحيوان والصيدلة والطب. الأخلاق رؤية للعالم فـــى جميـــع العلوم الإسلامية القديمة[١]. وليس تصنيف العلوم هو ما أعطته علـــوم الحكمـــة فقط، نظرية وعملية. النظرية، المنطق والطبيعيات والإلهيات، والعملية، الأخلاق والسياسة والاقتصاد (تدبير المنزل)[٢]. فكل علم له تصنيفه للعلوم. فى علم الكلام علوم نقلية وعلوم عقلية. وفى التصوف علوم النظر وعلوم الذوق. وفـــى الفقـــه علوم الأصول وعلوم الفروع. وعند المؤرخين علوم العرب وعلوم العجم، علوم الأواخر وعلوم الأوائل. كما يتضمن تقريرين تاريخيين. الأول دور الإسلام فى تطوير الفكر الفلسفى الإسلامى، والثانى صـــلة الفلـــسفة الإســـلامية بالفلـــسفة الأوروبية[٣].

وكما كتب الأستاذ "مقدمة فى الفلسفة الإسلامية" الجبهة الأولى فى موقفنـــا الحضارى فى مشروع "التراث والتجديد" كتب أيضا "دراسات فى الفلسفة الحديثة" الجبة الثانية. وهو كتاب جامعى للطلاب يعتمد على المراجع أكثر مما يعتمد على المصادر. عرض محايد لأهم أعلام الفلسفة الحديثة اعتمادا على تصنيف رسل. بدأت بالمنهج عند بيكون وديكارت. وحاولت أن تضع أســـس المعرفـــة. يتـــسم بالعرض المدرسى المرتب الواضح. تعطى أقل مما كان معروفا فى هذه الفتـــرة ١٩٨٤ بعد جهود عثمان أمين وزكريا إبراهيم ويوسف كرم وعبد الرحمن بدوى ونجيب بلدى. تجمعهم رابطة واحدة، العقل. يضم سبعة فصول. الأول مقـــدمات عامة عن خصائص الفكر الفلسفى الحديث. والثانى بيكون ومشكلة المنهج بداية بحياته وأعماله. والثالث ديكارت ومشكلة الشك مع حياته ومؤلفاتـــه. والرابـــع المدرسة الديكارتية، اسبينوزا وليبنتز دون مالبرانش. والخـــامس جـــون لـــوك

---

(١) السابق ص١٦١-١٩٠.

(٢) السابق ص٢٢-٢٦.

(٣) السابق ص٢٩-٤٧/١٩٣-٢٠٦.

ومشكلة المعرفة مع حياته. والسادس كانط والمشكلة النقدية مع حياته. والسابع فى الفلسفة المعاصرة، مفهوم المسئولية فى الحضارة الحديثة وهو إشكال عام، والخصائص العامة للوجودية بتصنيفها الشائع إلى مؤمنة وملحدة، ونقدها باعتبارها سرابا[١]. وهو الوحيد خارج النسق، المشكلة بدلا من العَلَم. وكانا فى الأصل مقالين[٢]. وتخلو من مقارنة بين ليبنتز والمعتزلة[٣]. ولا يوجد ربط بين نظرية المعرفة والنظرية السياسية فى الفلسفة الحديثة كما هو الحال فى الأخلاق المؤقتة عند ديكارت، و"رسالة فى اللاهوت والسياسة" عند اسبينوزا، و"مشروع غزو مصر عند ليبنتز"، و"مملكة بريطانيا" عند بيكون. أما هيجل الذى تضح فيه هذه الرابطة فقد أُجل فيما بعد مع وعد بتناوله لاحقا. ويُنقد لوك وحده دون الآخرين[٤]. ولم تستثمر أهمية كلمة "نقد" فى المذهب النقدى.

وقد جرت العادة فى كتب تاريخ الفلسفة تخصيص ديكارت بحياة الفيلسوف للتعريف به قبل أفكاره وكلاهما منفصلان عند بعض الفلاسفة العقليين، ومتصلان عند بعض الفلاسفة الوجوديين. ففكر الفيلسوف صدى لحياته وبيئته وعصره[٥]. ونحن عادة نرصد الاثنين، الحياة والأعمال منفصلين كمعلومات وأخبار.

وقبل الحوار مع الغرب، يُعرض الغرب فى ترجمة "مدخل إلى الفكر الفلسفى" لبوخينسكى ١٩٧٣. وهو الغرب الفلسفى وليس الغرب الاستشراقى فى مرحلة الأستاذ. وهو بداية التعامل مع الغرب قبل الحوار معه فى الاستشراق. وهو ما يعادل فى مشروع "التراث والتجديد" الجبهة الثانية، الموقف من التراث

---

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة، دار الفكر العربى، طـ ١/ القاهرة ١٩٨٤.

(٢) السابق ص٢١٥.

(٣) السابق ص٢٢٩.

(٤) السابق ص١٧٩-١٨٠/٢١٥.

(٥) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية، حياة الغزالى وآثاره العلمية ومكانته ص٥١-٧٣، نبذة عن حياة ابن رشد، السابق ص١١٢-١١٤.

الغربى أو "علم الاستغراب". والبداية بالترجمة كما بدأ القدماء بالترجمة قبل التعليق والشرح والتلخيص والعرض والتأليف[1]. تعرض الفلسفة كمفاهيم، كل مفهوم لفظ واحد، عشرة مفاهيم بعشرة فصول دون ربط بينها. بعضها يتعلق بالفلسفة النظرية والبعض الآخر بالفلسفة العملية. الفلسفة، والمعرفة، والحقيقة، والفكر والمطلق فلسفة نظرية، والقانون، والقيم، والإنسان، والوجود، والمجتمع أقرب إلى الفلسفة العملية. فالإنسان فى العالم وبين الناس. والفلسفة النظرية على هذا النحو حتى فى المفاهيم العملية فلسفة آمنة، ميتافيزيقية وليست سياسية، تقليدية وليست خارجة على التقاليد، أقرب إلى المثالية منها إلى الواقعية مع أن المثالية عند ماركوز ممثلة فى العقل ثورة. هدفها السماء وليس الأرض[2]. الهدف التفلسف الخالص[3]. ويُدافع عن المثالية ضد المادية والماركسية.

ومع "دراسات فى الفلسفة الحديثة" راجع الأستاذ على الألمانية ترجمة الجزء الثانى "العالم الشرقى" من كتاب هيجل "محاضرات فى فلسفة التاريخ".

---

(١) وقد بدأنا أيضا بالترجمة: "نماذج من الفلسفة المسيحية لأوغسطين وأنسيلم وتوما الاكوينى" ١٩٦٨، "رسالة فى اللاهوت والسياسة لاسبينوزا" ١٩٧١، "تربية الجنس البشرى للسنج" ١٩٧٧، "تعالى الأنا موجود لجان بول سارتر".

(٢) "والأمل معقود فى تضافر جهود المفكرين والمشتغلين بالفلسفة فى عالمنا العربى نحو إقامة صرح فلسفى جديد، وترسيخ بنيان فكرى أصيل وبلورة سمات فلسفية عربية إسلامية حديثة، تعمق بنيان شخصية الإنسان العربى المعاصر، وتوائم بين ارتباطه بالأرض التى يعيش فوقها والارتفاع به فى الوقت نفسه نحو السماء حتى تتحقق خلافته لله فى هذه الحياة"، مدخل إلى الفكر الفلسفى ص٤.

(٣) "قدمت لطلاب الفلسفة وطلاب الثقافة العامة ما يعينهم على تفهم الفلسفة ومشكلاتها. وكلنا أمل فى قيام نهضة حقيقية فى عالمنا العربى لا تقتصر على دراسة فلسفات ومذاهب الآخرين، وإنما تضيف إلى الفكر الإنسانى ما يعمل على إثرائه"، السابق ص١٢.

فالأستاذ يضم التأليف والترجمة والنشر كما فعلت "اللجنة المصرية"[١]. وقد سقط اسم المراجع من الطبعة البيروتية[٢]. وكان النص فى حاجة إلى "تعريب" أو "أسلمة" أكثر من المترجم أو المراجع حتى يؤثر أكثر فى الثقافة العربية فى غرز مفهوم التاريخ أو فى معرفة صورة الشرق فى ذهن الغرب وهو اهتمام المراجع الثانى باعتباره محاورا.

ومن مهام الأستاذ النشر. فقد نشر "ثلاث رسائل فى المعرفة" لم تنشر من قبل من التراث المخطوط للإمام الغزالى، معرفة النفس رسالة، ومعرفة الله رسالة، والمعرفة رسالة بعد التحقق من صحة نسبتها له. وليس بها جديد بالنسبة لآراء الغزالى فى المعرفة أو فى معرفة النفس أو فىّ معرفة الله. ومع ذلك تدل على حب الغزالى وعشقه من البداية إلى النهاية من رسالة الدكتوراه حتى الخطاب العام للناس فى "الدين والحياة"[٣].

واستعمل الأستاذ والمحاور والمصلح الشعر العربى القديم والحديث كوسيلة للتعبير عن الأفكار الفلسفية كما فعل القدماء والتأثير فى الجمهور الذى مازال فى روحه شاعرا. فالقرآن والشعر كلاهما دوائر خطاب بين المؤلف والقارئ، كما قال عمر من قبل "عليكم بديوان جاهليتكم ففيه تفسير كتابكم"[٤]. ومنه ما هو

---

(١) هيجل: محاضرات فى فلسفة التاريخ، الجزء الثانى، العالم الشرقى، ترجمة وتقديم وتعليق د. إمام عبد الفتاح إمام، راجعه على الأصل الألمانى د. محمود حمدى زقزوق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦.

(٢) السابق ص٣.

(٣) من التراث المخطوط للإمام الغزالى: ثلاث رسائل فى المعرفة لم تنشر من قبل تحقيق وتقديم وتعليق ط٢/ وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٩.

(٤) فى الحديث "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". وفى الشعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ∴ فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

مقدمة فى علم الأخلاق ص٥٢.

مستمد من الرسول أو من الغزالى أو من أحمد شوقى[1]. وكلما كان الموضوع مرتبطا بالحياة زاد الشعر. فالشعر نص يشعر به القارئ دون ما تفسير أو تأويل كما هو الحال فى النص الدينى. الشعر تجربة مباشرة بين الشاعر ومستمعه مثل المغنى، من القلب إلى القلب، دون رهبة النص أو سوء التأويل.

٣- المحاور.

المحاور هو المفكر عندما يتعامل مع حضارة أخرى مثل الغرب حوارا ونقدا. وهو ما يعادل الجبهة الثانية فى مشروع "التراث والتجديد" وتأسيس "علم الاستغراب"، وتحويل الغرب من كونه مصدرا للعلم ليصبح موضوعا للعلم. فالمثقف اليوم "عربى بين ثقافتين". وقد بدأت هذه المرحلة من قبل فى المرحلة الأولى، الأستاذ بثلاثة مؤلفات: "الإسلام فى مرآة الفكر الغربى" ١٩٧٩، "الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى" ١٩٨٢، "الإسلام فى تصورات الغرب" ١٩٨٧. ثم تأتى مرحلة المحاور بمؤلفين: "الإسلام وقضايا الحوار" ٢٠٠٢، "الإسلام والغرب" ٢٠٠٥.

ولا يغيب الحوار مع الغرب حتى فى مرحلة الأستاذ. فالفصل الثامن فى "مقدمة فى الفلسفة الإسلامية" هو "هوامش على صلة الفلسفة الإسلامية بالفلسفة

---

(١) وكان ما كان مما لست أذكره ∴ فظن خيرا ولا تسأل عن الخير

مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص١٦٥/٩٦، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص٩٢، دراسات فى الفلسفة الحديثة ص١٨٩، هموم الأمة الإسلامية ص١٨٣/٧٦، الحضارة فريضة إسلامية ص٥٣-٦٦/٦٠/٥٤، الإسلام فى عصر العولمة ص١٠٣/٢٤، الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى ص٢٥٢/٢٣٣/٢٣٠/٢٢٦/٢١٠/١٤٩/٥٦، المسلمون فى مفترق الطرق ص٩٠، الفكر الدينى وقضايا العصر ص٢٣١/٢٣٠/١١٣/١٠٣/٩٥/٦٣/٣٦، الدين للحياة ص٢٥، مقاصد الشرعية الإسلامية وضرورات التجديد ص١٠٠.

الأوروبية[1]. فهناك عدة مقارنات بين الغزالى وديكارت، ابن سينا وديكارت، الغزالى وهيوم، اسبينوزا والفلسفة الإسلامية، الغزالى والفلسفة النقدية، ليبنتز والفلسفة الإسلامية، إخوان الصفا وابن خلدون وأثرهما على الفلسفة الأوروبية.

ويبدأ الحوار بين التراثين الإسلامى والغربى بدراسة تاريخية مقارنة بين "المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت". وهى رسالة المحاور للدكتوراه بالألمانية التى حصل عليها من جامعة ميونيخ بألمانيا[2]. ليس الغرض هو إثبات الأثر والتأثر بل رصد مجرد التشابه بين الفيلسوفين كنوع من الدراسات المقارنة. وهى أول دراسة للأستاذ وبداية لمشروع الحوار بين الإسلام والغرب على نحو تاريخى لبيان مدى الاتصال بين التراثين فى أحد المراحل. الفكرة شائعة، يتناقلها أهل الاختصاص نظرا لمدى التشابه بين المنهجين، والانتقال من الشك إلى اليقين بصرف النظر عن أسس اليقين، الصوفى عند الغزالى والعقلى عند ديكارت. ونظرا لغياب منهج دقيق للمقارنة مع عرض متساو للطرفين أو قراءة طرف من وجهة نظر الآخر أو وضع كليهما فى نسق أعلى بحيث يظهران وكأنهما جانبان لحقيقة واحدة، ظهر الغزالى هو الأساس وديكارت هو الفرع. فالمدخل التاريخى عن الغزالى عصره وحياته ومؤلفاته، ولا يوجد مدخل مشابه لديكارت[3]. وفى "المقارنة بين المبدأ الفلسفى التأسيسى عند الغزالى وديكارت" هناك عرض للغزالى وذكر له أكثر من ديكارت[4]. وفى "العقل ومجاله" لا يوجد ذكر إلا للغزالى[5]. فالرسالة فى الغزالى أساسا وديكارت ما هو إلا الفرع.

---

(١) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص١٩٣-٢٠٦. وهى محاضرة ألقيت فى الجمعية الفلسفية المصرية، السابق ص١٩١.

(٢) "المنهج الفلسفة بين الغزالى وديكارت"، دار القلم، الكويت ١٩٧٣.

(٣) السابق ٦٣-٨٠.

(٤) السابق ص٨٣-١٦٣.

(٥) السابق ص١٦٧-٢٠٥.

وأول مؤلف صريح فى الحوار بين الإسلام والغرب هو "الإسلام فى مرآة الفكر الغربى"[١]. وهى دراسة وتحليل لبعض أعمال كبار المستشرقين. يتكون من بابين. الأول صورة الإسلام فى تصور المستشرقين ويضم ثلاثة فصول، عقائد الإسلام للمستشرق هرمان اشتيجلكر، محمد والقرآن للمستشرق رودى بارت، الله مختلف تماما عما يصفون للمستشرقة زيجريد هونكة. والثانى الإسلام والغرب ويضم أيضا ثلاثة فصول: الإسلام والغرب فى تصور الأدباء والفلاسفة، الصلات الثقافية بين الإسلام والغرب، وأخيرا عود إلى أسماء الأعلام، الإسلام فى تصور كاتب أوروبى مسلم هو جرهارد تشسنى فى كتابه "إجابة الأديان"[٢]. المحاور أزهرى ألمانى يجمع بين ثقافة الأنا وثقافة الآخر. موضوعات المستشرقين هى الموضوعات الكلامية التقليدية. وخطاب ولى العهد البريطانى عن الإسلام ليس حجة فى الاستشراق بل خطاب مجاملة ودبلوماسية.

وتكشف الأسئلة الواحد والثلاثون عن صورة الإسلام فى الفكر الغربى ودفاع المسلمين عن الإسلام فى تصوره التقليدى من محمد أسد (ليوبولد فايس)[٣].

---

(١) الإسلام فى مرآة الفكر الغربى" دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٧٩.

(٢) السابق ص١٨٥-١٩٠.

(٣) وهى: ١- ما هو العالم الآخر وهل يمكن معرفته؟ ٢- ما هى الحقيقة الأخرى والوحى والكتب المقدسة والمعجزات؟ ٣- دور البحث العلمى فى معرفة الحقائق الأخروية. ٤- دور المعرفة الوجدانية. ٥- دور التجربة الصوفية. ٦- هل يمكن التعبير عنها بالمفاهيم الإنسانية؟ ٧- هل الإنسان تطور طبيعى؟ ٨- هل النفس مستقلة عن البدن؟ ٩- ما معنى خلود الشخص الإنسانى؟ ١٠- كيف يتم خلاص الإنسان؟ ١١- ما دور السعادة والألم فى كمال الإنسان؟ ١٢- هل يدل تاريخ الإنسانية على تقدم؟ ١٣- هل تشتمل الأديان على حقائق؟ ١٤- هل تتوقف معرفة العقائد على النضج العقلى؟ ١٥- هل هناك دين واحد صحيح؟ ١٦- لماذا توجد مدارس مختلفة فى فهمه؟ ١٧- هل تستقل النظرة الإنسانية عن

وتبدو دراسة الاستشراق فى حد ذاته فى "الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى[1]. وهو كتاب وليس مجموعة أوراق. يتكون من ثلاثة فصول: مدخل تاريخى حول نشأة الاستشراق وتطوره، المستشرقون وموقفهم من الإسلام، موقفنا من الاستشراق. الأول فى الاستشراق كموضوع، والثانى فى موقف الاستشراق منا، والثالث فى موقفنا من الاستشراق فى إحالة متبادلة بين الذات والموضوع. وهى أحكام عامة كثر ترددها منذ قرنين من الزمان. ولم يعد أحد يرددها إلا فيما ندر مثل برنار لويس. ولا أحد يرد عليها لأنها ليست أحكاما علمية بل صورا قبلية القصد منها تشويه الإسلام. والآن الدراسات الاستشراقية دراسات جزئية وليست أحكاما تعميمية. تجاوزتها الدراسات العربية بمراحل بعد أن ساهم العرب فى دراسة تراثهم. وقد ارتبط الاستشراق بالتبشير والاستعمار. وساهم فى ذلك اليهود بالرغم من أن الثقافة الإسلامية عاشت فى قصر الإمبراطور فريدريك الثانى حتى القرن الثالث عشر. وتتركز أعمال المستشرقين فى التدريس الجامعى وجمع المخطوطات العربية والتحقيق والنشر والترجمة والتأليف مثل تاريخ الآداب العربية ودائرة المعارف الإسلامية والمعاجم. غلب عليها المنهج التاريخى خاصة فى دراسة مصادر القرآن وصحة النص القرآنى

الدين؟ ١٨- هل يستطيع الإنسان الوصول إلى الحقيقة الصحيحة؟ ١٩- ما صلة الأديان بالامتيازات الاجتماعية والسياسية؟ ٢٠- هل ينجح الحوار بين الأديان؟ ٢١- ما الصلة بين الإيمان والأخلاق؟ ٢٢- هل يمكن مع تعدد العقائد الاتفاق على معايير الأخلاق؟ ٢٣- هل هناك قيم أخلاقية ملزمة لكل الشعوب؟ ٢٤- هل توحيد القيم يؤدى إلى توحيد الأديان؟ ٢٥- هل يستطيع الدين أو الدولة الدفاع عن حرية الضمير؟ ٢٦- هل العلمانية ضرورية؟ ٢٧- هل يمكن تدريس الأديان بالمدارس؟ ٢٨- هل تسمح الدولة العلمانية بالجماعات الدينية؟ ٢٩- هل يدرس اللاهوت والدين بالجامعة؟ ٣٠- هل تتدخل الدولة للحفاظ على الحريات؟ ٣١- هل هناك صلة بين المواقف الدينية والأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؟، الإسلام فى مرآة الفكر الغربى ص١٩٣-٢٤٢.

(١) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى، دار الشروق الدولية ١٩٨٢.

وتنبؤ القرآن بانتصار المسلمين وهزيمة غيرهم. هناك صراع فكرى إذن بين الاستشراق والإسلام مما يتطلب موسوعة للرد على المستشرقين، ومؤسسة إسلامية علمية عالمية، ودائرة معارف إسلامية جديدة، وجهاز عالمى للدعوة الإسلامية، وترجمة إسلامية لمعانى القرآن، وتنقية التراث الإسلامى، والحضور الإسلامى فى الغرب، وتأسيس دار نشر إسلامية عالمية.

و"الإسلام فى تصورات الغرب" هو جزء من دراسة الاستشراق[١]. هو الكتاب الثالث من المشروع فى مرحلة الأستاذ، ومراجعة لأدبيات المستشرقين. وهو مرتب طبقا لأسماء أعلام المستشرقين، كل مجموعة منهم فى موضوع[٢]: الإسلام وسيرة الرسول على فصلين مع مقدمة عامة عن الاستشراق من وجهة النظر الإسلامية، آثاره وردود الفعل عليه وتياراته النقدية والموضوعية والإيجابيات والسلبيات فى الاستشراق، واستهدافه الإسلام، ومسئولية المسلمين تجاهه، والحوار مع المستشرقين المعتدلين[٣]. وقد تم عرض اتجاهات إسلامية هندية حديثة، دراسات تبشيرية عن الإسلام، والإسلام فى كتب تاريخ الأديان ورصد لنصوص إسلامية ترجمها المستشرقون. ثم عرض الكتاب ثلاثين عملا لمستشرقين عن سيرة الرسول[٤]. يضاف إليها تكوين أسطورة الرسول فى العصر الوسيط. ويُعرض أخيرا أعمال اثنين وأربعين مستشرقا عن سيرة الرسول سواء فى عصر التنوير فى القرن الثامن عشر أو فى عصر الكتابات

---

(١) الإسلام فى تصورات الغرب، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٧.

(٢) السابق ص٣-٤.

(٣) السابق ص٧-١٨.

(٤) هم: ريلاند، جورج سيل، مرادجيا دهسون، جارسين دى تاسى، راينهارت دوزى، الفريد فون كريمر، سنوك هورجرونجيه، اجناس جولدتسيهر، ماكدونالد، مرجليوث، مارتين هارتمان، برونو فيوليت، شوبرت، زايتس، ليبل، شبنجلر، فرانتس بول، أويسترووب، كاشروب، كارادى فو، السابق ص١٩-٧٦.

النقدية التاريخية فى القرنين التاسع عشر والعشرين أو الكتابات الشعبية عن حياة محمد[١]. وتتكرر بعض الأعلام فى أكثر من موضوع. وتبدو أهمية الرسول أكثر من الرسالة بناء على تشخيص الأديان فى أنبيائها، المسيحية من المسيح، والموسوية من موسى، والمحمدية من محمد[٢]. وهو أقرب إلى فهرس مكتبة أو بيليوجرافيا تفصيلية من بيئات ثقافية متعددة أكثرهم ألمان. والتصنيف طبقا للمناهج أو التصورات أفضل. ويدخل المحاور فى جدل سريع مع بعض أحكام المستشرقين ونتائج دراساتهم.

والاستشراق ليس مجرد حوار مع الآخر، الغرب، بل هو أيضا حوار مع الذات. فالهدف منه توعية الذات[٣]. فالصورة السلبية للإسلام فى الغرب نتيجة تراكمات طويلة عبر التاريخ[٤]. وبالتالى يكون الهدف هو توعية المسلم المعاصر

---

(١) هم: فكتور شوفان، ريلاند، بولانفلييه، جان جانييه، سيل، فولتير، جوستاف فيل، كوسان دى برسيفال، موير، اشبرنجر، نولدكه، بيير مارتينو، مينور، فولفل، هاز، تور اندريه، شفاللى، كواريسميوس، رينو، زيوليكى، أولستان دوميريل، دى لينس، جاس، بروتسى، دانكونا، كاسترى، شرودر، دريسباخ، دوتيه، باسيه، السابق ص٧٧-١٢٧.

(٢) وهم: بودييه، سيل، ادوار بوكدك، هوتنجر، الكسندر روسى، مارلتشى، بريدو، بولانفلييه، جانييه، ايرهارت، فولتير، ليبنتز، ليسنج، جوته، جيبون، هردر، أولزنر، رينو، هامر، برجشتال، كارلا يل، وليم موير، اشبرنجر، نولدكه، كريل، أوجست موللر، هوبرت جريمه، سنوك هورجرنجيه، بل، مرجليوث، جولدتسيهر، لامانس، ركندروف، هيلكا بنعماير، ريم، فورتس، ماير، السابق ص١٢٨-١٩٦.

(٣) "وقد أردت بهذه السلسلة أن يطلع القارئ المسلم على أبعاد هذه القضية القديمة الجديدة، ومالها من تأثيرات إيجابية أو سلبية فى صياغة الفكر الغربى فيما يتعلق بالإسلام، وما لها من ردود فعل فى الفكر الإسلامى فى العصر الحديث"، الإسلام فى تصورات الغرب ص٤.

(٤) "فالصورة السائدة عن الإسلام اليوم فى الغرب ليست مجرد صورة وقتية عارضة، ولا هى بنت اليوم، وإنما هى صورة صاغتها قرون طويلة من الصراع الحضارى بين

بما يجرى حوله وما يكتب عنه ليعرف كيف يراه الآخرون. كما أنه قد يقدر على الاستعداد لمواجهة هذه الصور السلبية عن نفسه فيتخلص منها ولا يكون أسير عقدة التخلف. وقد يحفز ذلك المؤسسات الإسلامية العلمية للنهوض بواجبها فى دراسة الاستشراق والرد عليه. والأخطر هو انتشار هذه الصور السلبية عن الإسلام من دوائر التخصص والبحث العلمى إلى الثقافة الشعبية للأوروبيين من خلال أجهزة الإعلام والكتب المدرسية[١].

و"الإسلام وقضايا الحوار" يدخل فى لب موضوع الحوار مع محاولة تأصيل نظرى له[٢]. وهى ترجمة عن الأصل الألمانى[٣]، مع زيادة أربعة

الإسلام والغرب. ومن الضرورى أن يتعرف القارئ المسلم على جذور هذه الصورة فى الفكر الغربى وعلى تطور التصورات الغربية عن الإسلام على مدى قرون عديدة"، السابق ص٢.

(١) "ونأمل أن يتحقق بعملنا هذا... الوصول إلى الأهداف الآتية: أولا أن يكون المسلم المعاصر على بينة بما يجرى حوله، وعلى وعى بما يكتب فى الغرب عن دينه وحضارته وتاريخه، وعلى إدراك الأسباب البعيدة للمواقف الغربية عن الإسلام حتى لا يقف طويلا عند الظواهر السطحية العارضة التى لا تفصح عن الأسباب الحقيقية وراء ذلك. ثانيا أن يحفز ذلك المسلم المعاصر إلى العمل لإعداد نفسه على المستوى الفكرى إعدادا يستطيع به أن يكون قادرا على مواجهة كل التيارات الفكرية الآتية من الشرق أو الغرب حتى لا يتخلف عن الركب ويدع الفرصة للآخرين لاحتوائه فيظل أسيرا لعقدة التخلف ومركبات النقص التى يراد ترسيخها فى ذهنه. ثالثا أن يدفع ذك المؤسسات الإسلامية العلمية إلى نهوض بمسئولياتها تجاه الإسلام فى مواجهة الحركة الاستشراقية فى الغرب"، السابق ص٤.

(٢) الإسلام وقضايا الحوار، ترجمة د. مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢.

(٣) Der Islam und die Fragen des Dialogs, Shorouk International Bookshop, Cairo 2004.

فصول[1]. وهو من أكبر الكتب حجما. لا تذكر أسماء عربية أو أجنبية كثيرة باستثناء الغزالى وابن رشد ومحمد عبده والأفغانى وتصدير الأصل الألمانى بنص من الغزالى. وتذكر تواريخ وفاة الأعلام بالميلادية وليس بالهجرية لأن النص الأصلى موجه إلى جمهور أجنبى. ولم يراع المترجم العربى وضع التواريخ الهجرية بجوارها[2]. والغريب أن الفصول الأربعة الزائدة فى الترجمة العربية عن الأصل الألمانى تهم القارئ الأوروبى أيضا مثل "الجانب الروحى فى الإسلام" وهو يتهم الإسلام بالمادية مقارنة بالمسيحية، و"عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم". وهو يتهم القرآن بعد الاعتراف به مع أنه كلمة الله وروح منه، و"الإسلام والأسس العامة للمجتمع" وهى المساواة والعدالة الاجتماعية ربما خشية من التقارب بين الإسلام والاشتراكية، وأخيرا "مشكلة الانحرافات الدينية فى التاريخ الإسلامى" مثل البدعة والزندقة والغلو والردة مع أنها موضوعات مثار إشكال وتساؤل لدى القارئ الأوروبى[3].

ويتجلى الحوار ودرء الشبهات عن الإسلام وتساؤلات الغرب فى مؤلف

---

(١) يتضمن الأصل الألمانى ثلاثة عشر فصلا هى: ١- إسلام واحد وتفسيرات متعددة. ٢- الحوار والاحترام المتبادل بين الحضارات. ٣- الإسلام وأوروبا. ٤- العلاقات الثقافية بين العالم الإسلامى والغرب. ٥- الإسلام والحوار بين الأديان. ٦- الصراع والتعددية والتضامن فى التصور الإسلامى. ٧- الإسلام وحقوق الإنسان. ٨- حرية العقيدة وحقوق الإنسان فى الإسلام. ٩- مفهوم العدل فى التصور الإسلامى. ١٠- السلام فى التصور الإسلامى. ١١- التسامح فى الإسلام. ١٢- عالم واحد للجميع. ١٣- المسئولية العالمية المعاصرة فى التصور الإسلامى. وتزيد فى الترجمة العربية أربعة فصول هى: ١- الجانب الروحى فى الإسلام. ٢- عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم. ٣- الإسلام والأسس العامة للمجتمع. ٤- مشكلة الانحرافات الدينية فى التاريخ الإسلامى.

(٢) السابق ص٣٣.

(٣) السابق ص٨٩-١١٤/١٢٧-١٤٦/١٧٣-١٨٦/٢٠٩-٢٣٠.

بالإنجليزية بعنوان "حقائق حول الإسلام، أسئلة وردود" على نسق "إجابة الأديان" لجرهارد تشسنى[1]. وهى سبعة وثلاثون سؤالا مقسمة حول سبعة موضوعات: القرآن الكريم، النبى محمد، الفتوحات الإسلامية والحقيقة حول حروب المسلمين (الجهاد) وموضوع العنف، الإسلام وموضوعات خاصة بالفرد، الإسلام وموضوعات المرأة المسلمة، وتخلف بعض الدول الإسلامية، أسئلة حول بعض أحكام الإسلام. وهى تساؤلات الغرب وشبهاته حول الإسلام[2]. والإجابات كلها

---

(١) Facts about Islam, Questions and Answers, Shourouk International Book, Cairo 2004 . الإسلام فى مرآة الفكر الغربى، الإسلام فى تصور كاتب أوروبى مسلم ص١٩٣-٢٤٢.

(٢) أولا: القرآن الكريم: ١- هل القرآن وحى إلهى أم هو تأليف إنسانى؟ ٢- هل القرآن مؤلف من الكتب السابقة؟ ٣- هل صحيح أن القرآن لم يقدم أى أحكام وأوامر جديدة؟ ٤- هل جمع القرآن يلقى أى شك حول صحة النص؟ ثانيا: النبى محمد: ١- هل أرسل النبى محمد برسالة الإسلام إلى العرب أم إلى الناس كافة؟ ٢- ما هى أسباب زيجات الرسول؟ ٣- ما هو الدليل على صحة أحاديث الرسول؟ ٤- هل هناك أى تناقضات بين أحاديث الرسول؟ ثالثا: الفتوحات الإسلامية، حقيقة الحروب الإسلامية (الجهاد) وموضوع العنف: ١- هل انتشر الإسلام بالسيف؟ ٢- هل كانت الفتوحات الإسلامية نوعا من الغزو؟ ٣- ماذا كان موقف الإسلام تجاه الحضارات القديمة، وهل كان الإسلام مسئولا عن حريق مكتبة الإسكندرية؟ ٤- ما هى حقيقة الحروب الإسلامية (الجهاد)؟ ٥- ما هى أحكام الإسلام الخاصة بالتعصب والإرهاب؟ ٦- هل يشجع الإسلام التطرف والعنف؟ رابعا: الإسلام وموضوعات الفرد: ١- ما هى العلاقة بين الله والإنسان فى الإسلام؟ ٢- ما هى أحكام الإسلام بالنسبة للعقل والذهن الإنسانى؟ ٣- هل تتضمن عقيدة الإسلام الإيمان بالقدرية؟ ٤- ما هى أحكام الإسلام بالنسبة للديموقراطية وحقوق الإنسان؟ ٥- ما هى أحكام الإسلام بالنسبة للفن؟ خامسا: الإسلام وموضوعات المرأة المسلمة: ١- هل صحيح أن الإسلام يعامل المرأة المسلمة بظلم ويسلبها حقوقها؟ ٢- هل يسيطر الرجال دائما على النساء المسلمات؟ هل ميراث المرأة المسلمة أقل من ميراث الرجل المسلم؟ ٤- هل النساء المسلمات أقل من الرجال فى الشهادة فى ساحة القضاء؟ ٥- هل يمنع الإسلام النساء

دفاعية بالنسبة لكل التساؤلات حول الموضوعات السبعة والسبعة وثلاثين سؤالا. وجبات سريعة تثير الفكر ولا تحلل الموضوع تاريخيا ولا اجتماعيا.

أما كتاب "فى الفلسفة والثقافة والسلام فى الإسلام" فهى ترجمة إنجليزية لبعض الفصول العربية من كتب أخرى سابقة[١]. ويتضمن ثلاثة فصول. الأول دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى، ويشمل موضوعين: الأول موقف الإسلام من العقل الإنسانى، مفهوم الإنسان، والعقل الإنسانى ووظائفه، وتحرير العقل الإنسانى، والثانى دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى، النسق الكلى، مبدأ الاجتهاد، فكرة الوسطية، وجهة نظر الإسلام فى التاريخ، وأثر الإسلام فى الفلسفة الأوروبية فى العصر الوسيط وفى العصر الحديث. والثانى العلاقات الثقافية بين الغرب والعالم الإسلامى فى مراحل ثلاث، العصر القديم والعصر

المسلمات من تقلد المناصب الرئيسية فى الدولة؟ ٦- هل يأمر الإسلام النساء المسلمات بارتداء الحجاب، وما هى أحكام الإسلام بالنسبة لحق المرأة فى التعليم وتقلد الوظائف؟ ٧- هل الإسلام يحدد وضعا غير ملائم للنساء للحياة المدنية؟ ٨- لماذا يسمح الإسلام بتعدد الزوجات؟ ٩- هل تحريم المرأة المسلمة الزواج من غير المسلم علامة تميز بين المرأة والرجل؟ سادسا: موضوعات خاصة بحرية الاعتقاد، ووحدة الشعوب الإسلامية، وتخلف بعض الدول الإسلامية: ١- هل يعارض الإسلام حرية الاعتقاد؟ ٢- هل موقف المسلمين من سلمان رشدى دليل على معارضة الإسلام لحرية التفكير؟ ٣- هل الحدود فى الإسلام قاسية (وحشية)؟ ٤- لماذا المسلمون مجزءون بالرغم من نداء الإسلام للوحدة؟ ٥- هل العقيدة الإسلامية مسئولة عن تخلف بعض الدول الإسلامية؟ سابعا: تساؤلات حول بعض أحكام الإسلام: ١- هل يعوق الصيام الإنتاج؟ ٢- هل صحيح أن الزكاة تضمن الرحمة الإلهية للأغنياء أكثر من الفقراء؟ ٣- لماذا يحرم الإسلام تناول لحم الخنزير؟ ٤- لماذا يحرم الإسلام على الرجال لبس المشغولات الذهبية والملابس الحريرية؟

(١).On Philosophy, Culture and Peace in Islam, Shorouk International Bookshop, Cairo 2004.

الوسيط والعصر الحديث، والنقاط المشتركة واحتمال التعاون الأكاديمى. والثالث السلام من وجهة النظر الإسلامية، وهى موضوعات تهم القارئ الغربى. لذلك ترجمت من العربية إلى الإنجليزية. والسلام موضوع الدولة الذى بدأ المثقفون يبررونه ويدعون له بعد زيارة القدس، وكامب ديفيد، ومعاهدة السلام. وقد ثار جدل أخير فى أجهزة الإعلام حول دعوة المحاور لزيارة القدس وهل هى تطبيع أم حفاظا على المسجد الأقصى.

و"الإسلام والغرب" أحد منابر الحوار مع الآخر الذى بدأ بكتاب "الإسلام فى مرآة الفكر الغربى"[1]. يظهر أسلوب المفكر الداعية. والمؤلف أكثر من خاطب الغرب من خلال الاستشراق وكأن الغرب هو الاستشراق وليس الاستشراق جزءاً من الغرب. وفرق بين الجدال مع الغرب وفهم الغرب وتحويله إلى موضوع للدراسة كما هو الحال فى "علم الاستغراب". ويضم تسعة فصول متشابهة فى عناوينها[2]. ويتداخل الاستشراق مع الإسلام والمسيحية والإسلام وأوروبا، والحوار الحضارى. ويلحق به نصان، الأول "الغرب والإسلام" للأمير تشارلز، ولى عهد بريطانيا، خطابا دبلوماسيا ورسالة مجاملات. والثانى "حوار جديد مع الإسلام" لروبين كوك، وزير خارجية بريطانيا. وهو أيضا لا يختلف عن الأول إلا أنه يجعل الإسماعيلية الجسر بين الغرب والإسلام[3]. ومن المهم فى الكتاب التركيز على العامل السياسى فى ضياع الثقة بين الجانبين مثل الفتح

---

(١) الإسلام والغرب، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ٢٠٠٥.

(٢) هى: ١- الإسلام والاستشراق. ٢- اتجاهات غربية جادة لفهم الإسلام. ٣- الحوار الحضارى بين العالم الاسلامى والغرب. ٤- الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية. ٥- الإسلام وأوروبا، ضرورة الحوار وآفاق المستقبل. ٦- الإسلام والمسيحية، إمكانات التفاهم والتعاون بين الجانبين. ٧- إعادة بناء الثقة بين العالم الاسلامى والغرب. ٨- مستقبل العلاقة بين العالم الاسلامى والغرب. ٩- مستقبل الإسلام فى الغرب.

(٣) الإسلام والغرب ص١٧٧-١٩٨.

العربى للأندلس، الحروب الصليبية، الغزو العثمانى للبلقان، الغزو الاستعمارى لبلاد العالم الإسلامى فى العصر الحديث، الوعد الإنجليزى لليهود عام ١٩١٧، التحيز التام لإسرائيل، الحرب على العراق، الترويج فى الإعلام الغربى للربط بين الإسلام والإرهاب[١]. وبه قرآن أقل لأنه يخاطب الغرب. ومن الطبيعى أن يكشف الاستشراق عن صورة الإسلام فى مرآة الغرب ومقارنته بالمسيحية وتطبيق المناهج التاريخية عليه طبقا لما تعود عليه المستشرق من مناهج تاريخية وأثر وتأثر وتحليلية وإسقاطية[٢].

وفى الاستشراق هناك جوانب إيجابية وأخرى سلبية مثل طبيعة كل عمل بشرى[٣]. ميزة الاستشراق أنه يعمل ونحن لا نعمل[٤].

ويصعب الرد على المستشرقين بالكتاب والسنة لأنهما ليسا حجة لديهم بل بالعلم والنقد والتاريخ[٥]. والخطورة فى الحوار أنه يتحول إلى دفاع[٦]. إذ تقتضى أدبيات الحوار عدم الهجوم على الآخرين. إنما يسمح بالدفاع عن الذات بطريقة صريحة أو مبطنة، مباشرة أو غير مباشرة. ومن الطبيعى أن يتحول الهجوم إلى دفاع، والسلب إلى إيجاب فى تساؤلات المستشرقين عن موضوعات النساء

---

(١) السابق ص١٣٣.

(٢) حسن حنفى: التراث والتجديد ص٦٧-١٠٨، المؤلفات الإسلامية والعقائد المسيحية، الإسلام فى مرآة الفكر الغربى ص٢٩-٣٠/٧٢-٧٨.

(٣) الإسلام فى مرآة الفكر الغربى ص٧٢-٩٦.

(٤) "ويؤسفنى أن أقول: إن المستشرقين يعملون ونحن لا نعمل، وهذا هو الفارق بيننا وبينهم بصرف النظر عن طبيعة العمل الذى يقومون به. وقد آن الأوان لنعمل نحن أيضا، وبروح الفريق كما يصفون. فليس أمامنا من سبيل إلا المواجهة العلمية وقبول التحدى وإثبات الذات وإلا فلسنا جديرين بالحياة"، السابق ص٢٠.

(٥) الإسلام فى تصورات الغرب ص١٣/١٥.

(٦) دفاع Apologetism.

والشيطان والآيات[1]، والقوة الجنسية للرسول وقسوته[2].

والسؤال هو: هل الغرب هو أساس الاستشراق، أم أن الاستشراق رؤية بعض الدارسين الغربيين للحضارة الإسلامية عبر التاريخ؟ قد يكون الاستشراق داخل الغرب هامشيا ليس فى مرتبة ديكارت وكانط وهيجل. وقد يجمع بعض ممثلى الحضارة الغربية بين رؤية الشرق وتمثيل الغرب مثل جوته وهيجل واشبنجلر فى رؤيتهم للإسلام وحضارته.

وهناك فرق بين دراسة المحاور للاستشراق ودراسة إدوار سعيد للاستشراق. المحاور للدفاع واستشراق الثانى للكشف عن خطاب ما بعد الاستعمار وكيف أنه يعكس عقلية الدارس وهو الغرب أكثر مما يكشف الموضوع المدروس، الشرق. ليس بهدف الدفاع ولكن بهدف تصحيح الأحكام والمواقف والرؤى، وتحويل الدارس إلى مدروس، والذات إلى موضوع كما هو الحال فى علم "الاستغراب".

٤- المصلح.

وتدخل مرحلة الإصلاح مع مرحلة الحوار، فالحوار مع الذات يسبق الحوار مع الآخر. وقد ظهر ذلك فى ثمانية مؤلفات: هموم الأمة الإسلامية (١٩٩١-٢٠٠١)، الحضارة فريضة إسلامية (٢٠٠١)، الإسلام فى عصر العولمة (٢٠٠١)، الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى (٢٠٠٤)، المسلمون فى مفترق الطرق (٢٠٠٧)، الفكر الدينى وقضايا العصر (٢٠٠٦-٢٠٠٨)، الدين للحياة (٢٠٠٩)، مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد (٢٠٠٩) وهى أغزر المراحل تأليفا.

---

(١) الإسلام فى مرآة الفكر الغربى ص٣٠-٣٢/٤٨.

(٢) السابق ص٢٩-٤٧/١٩٣-٢٠٦.

وقصد الإصلاح موجود أيضا فى مرحلة الأستاذ. يخاطب مرحلة تاريخية معينة، العصر الحاضر[١].

وينتسب المصلح إلى مدرسة الأفغانى ومحمد عبده اللذين يكثر الإحالة إليهما. وقد استمرت لدى عديد من مشايخ الأزهر المراغى وشلتوت والبهى. والمحاور تلميذا مباشرا للبهى. هو الذى أرسله فى بعثة إلى ألمانيا للحصول على الدكتوراه. محمد عبده يوحد بين الدين والعقل. ويحال منذ الرسالة الأولى "المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت" إلى مدرسة محمد عبده فى علاقة الإسلام بالعقل[٢]. وقدم محمد البهى الكتاب ومؤلفه[٣]. وفى "مقدمة فى الفلسفة الإسلامية" يخصص الفصل الخامس لموضوع "مكانة العقل فى فكر الشيخ محمد عبده"[٤]. ويحال إلى دفاع محمد عبده عن الوحى ونقده لرواية الآيات الشيطانية[٥]. ويحال إلى الأفغانى ومحمد عبده فى "الإسلام وقضايا الحوار"[٦]. ويحال إلى الأفغانى

---

(١) "من الملائم فى الظروف الفكرية التى تخيم على حياتنا الثقافية أن أجمع هذه الفصول..."، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص٣. "إن قضية الصلة بين العقل والدين فى الإسلام لا تزال قضية مطروحة على الساحة الفكرية، وفهمها على وجهها الصحيح يشكل عاملا فعالا فى انطلاقة حضارية جديدة تعيد إلى الأذهان تلك الانطلاقة الحضارية التى شهدها تاريخ المسلمين فى القرنين الثالث والرابع الهجريين وفى الوقت نفسه تسرع بنا إلى اللحاق بركب التطور الحضارى المعاصر"، السابق ص٤.

(٢) تمهيد للفلسفة ص١٠٢-١٠٤.

(٣) المؤلف "من شباب الأزهر المستنير الذى ضم إلى ثقافته الإسلامية والعربية ثقافة غربية"، المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت، ص١٣.

(٤) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص٤٤-١٤١/١٤٥-١٥٧.

(٥) الإسلام فى مواجهة الفكر الغربى ص٤٧.

(٦) الإسلام وقضايا الحوار ص٣٠/٢٢٦.

فى "الإنسان والقيم فى التصور الاسلامى فى قيمة العلم"[١]. كما يحال إلى الشيخ حسن العطار الذى وجه تلميذه الطهطاوى إلى الانفتاح على الحضارة الغربية[٢]. ويظل محمد عبده رائد الإصلاح فيما يتعلق بالعقل والعقلانية بالرغم من أن على العقل وصى وهو النبى. وهو ماتوريدى النزعة أى نصف معتزلى[٣]. وتأصيل حركات الإصلاح فى محمد عبده صحيح دون إطرائه واعتباره نموذج العقلانى لأن العقل لديه فى حاجة إلى وصى وهو النبى كما يقول فى "رسالة التوحيد". أهميته أنه خرج على الأشعرية منتسبا إلى الماتوريدية بين الأشعرية والاعتزال.

وربما كان يحتاج المصلح إلى مزيد من التأمل فى تصور الإسلام إلى التاريخ ووضع الأمة فى مساره وليس الاكتفاء بتحليل نظرى لنظرة الإسلام إلى التاريخ سواء فى وضع قواعد النقد التاريخى للروايات أو وحدة الأصل الإنسانى[٤].

ويبدأ دور المصلح فى "الدين والفلسفة والتنوير" بعد أن أصبح الأستاذ العميد وزيرا للأوقاف والشئون الدينية أو قبل ذلك بعام. ويشعر أنه من واجبه مخاطبة الناس والجمهور العريض بدلا من النخبة وطلبة الجامعات. فنشر الكتاب فى سلسلة "اقرأ" وهى سلسلة ثقافية شهرية[٥]. ويتكون من ثلاثة فصول: الدين والفلسفة، الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية لدى ابن رشد، مفهوم التنوير فى فكر ابن رشد. ولما كانت الحركة الإصلاحية حركة عقلانية فإنها تؤصل نفسها فى ابن رشد قديما ومحمد عبده حديثا. فالدفاع عن الدين هو دفاع عن الفلسفة ودفاع

---

(١) الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى ص١٧٧.

(٢) المسلمون فى مفترق الطرق ص٤٦.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد ص٨٠/١١٤-١١٥.

(٤) تمهيد للفلسفة ص١٠٤-١٠٦.

(٥) الدين والفلسفة والتنوير، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٦.

عن العقل ضد التعصب والتطرف وموجات التكفير مما قد يُفسر على أنه هجوم غير مباشر على الجماعات الإسلامية، خصوم النظام. ولا يختلف مصير ابن رشد عند العرب والمسلمين عن مصير الرشدية اللاتينية فى الاتهام بالتكفير وحرق المؤلفات والمؤلفين فى عصر محاكم التفتيش[١]. ومن المقولات الشائعة أن الفلسفة سفه وأن من تمنطق تزندق فى حين أنها بنت الدين وأم العلم. إن الانشغال بما لا ينفع الناس مثل إطالة اللحى وتقصير الثياب والإلزام بالنقاب والسواك وتعدد الزوجات كل ذلك من مظاهر التخلف والانشغال بأمور هامشية دون مصالح الأمة[٢]. ويستشهد ببعض المستشرقين المعتدلين مثل هنرى كوربان[٣].

وقد انتسب العديد من مشايخ الأزهر ومفكرى مصر الليبراليين إلى التيار

---

(١) "كما لا يخفى على أحد أيضا ما للفهم الخاطئ للدين من آثار خطيرة تتمثل فى الانحرافات الفكرية وموجات التطرف والتعصب والإرهاب... وهنا أيضا تنشأ موجات التطرف والتعصب فيغيب الوعى ويتسلط الجهل. وهذا كله يدعونا إلى أن نبحث عن الطريق السوى للخروج من متاهات الفهم الخاطئ للدين من ناحية ومن متاهات الضلال العقلى من ناحية أخرى..."، السابق ص٥-٦.

(٢) "ولكن الأمر الذى يؤسف له أنه كلما سار بنا ركب النهوض خطوة إلى الأمام أطلت برأسها من هنا وهناك عناصر التخلف التى تتمسح بالدين وتتاجر بالسياسة لتجذبنا إلى الوراء خطوات... إن القضية المصيرية اليوم أمام الأمة الإسلامية هى قضية التخلف فى شتى المجالات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والمادية وفى مجالات التفكير الدينى. والعقل ينبغى أن يأخذ دوره كاملا لإنقاذ الأمة من وهدة هذا التخلف. أما شغل الأمة بقضايا إطالة اللحى وتقصير الثياب والدفاع عن النقاب والسواك وتعدد الزوجات وما شاكل ذلك من أمور هامشية فإنه يعد جناية فى حق الأمة وتعويقا لها عن مسيرتها نحو التقدم واللحاق بركب العصر"، السابق ص١١٦.

(٣) السابق ص٧١-٧٢/٩٣.

الإصلاحى. وهذا هو الدافع على كتابة "من أعلام الفكر الإسلامى الحديث"[١]. وهم عشرون علما مبوبون قدر الإمكان زمانيا منذ التهانوى فى القرن الثامن عشر والشيخ حسن العطار (ت ١٨٣٤) فى القرن التاسع عشر حتى مشايخ الأزهر من مدرسة محمد عبده فى القرن العشرين[٢]. وهو كتيب صغير لكنه مركز يبين أهمية التيار الإصلاحى للجمهور ويعيد إليه ذاكرته[٣]. وجبات سريعة ولكنها مؤثرة ومفيدة خاصة فى حادثة صمود المراغى أمام الملك فاروق ورفضه إصدار فتوى بتحريم زواج الملكة فريدة ثانية بعد طلاق الملك[٤].

ونموذج المؤلفات الإصلاحية هو "هموم الأمة الإسلامية"[٥]. وكان فى الأصل "قضايا فكرية واجتماعية فى ضوء الإسلام" الذى كتب قبل ذلك بعشر

---

(١) من أعلام الفكر الإسلامى الحديث، دراسات إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٩٧.

(٢) حسونة النواوى (١٩٢٤)، محمد مصطفى المراغى (١٩٤٥)، مصطفى عبد الرازق (١٩٤٧)، محمد الخضر حسين (١٩٥٨)، محمود شلتوت (١٩٦٣)، عبد الحليم محمود (١٩٧٨) محمد بيصار (١٩٨١) وغيرهم. ومن المصلحين جمال الدين القاسمى (١٩١٤)، ومن المفكرين الليبراليين محمد حسين هيكل (١٩٥٦)، عباس محمود العقاد (١٩٦٤)، ومن علماء الأزهر عبد المتعال الصعيدى (١٩٥٨)، محمد أبو زهرة (١٩٧٤)، محمد غلاب (١٩٧٠)، محمد البهى (١٩٨٢)، أحمد حسن الباقورى (١٩٨٥)، سليمان دنيا (١٩٨٨)، محمد بن فتح الله بدران (١٩٧٠)

(٣) "فالأجيال الجديدة فى حاجة مستمرة إلى تنشيط ذاكرتها بالتعرف على الرواد الذين كانت لهم بصمات واضحة فى تاريخها من أجل السير على نفس الدرب ومواصلة الطريق نحو التطور والتجديد فى الفكر وفى الحياة. وشبابنا فى أشد الحاجة إلى من يأخذ بيده ويملأ الفراغ الفكرى الذى يحيط به، ويساعده على شق طريقه من أجل خدمة أمته والإسهام فى نهضتها"، السابق ص٣.

(٤) السابق ص٣٧.

(٥) هموم الأمة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١.

سنوات[1]. يتكون من ثلاثة أبواب، وكل باب من ثلاثة فصول. الأول مفاتيح الحضارة وتحديثات العصر فى ضوء الأمر الإلهى وتحديات القرن الحادى والعشرين والإرهاب. والثانى دراسات فى ضوء الكتاب والسنة وهو عنوان عام لا يدخل مباشرة فى موضوع الكتاب ويتضمن مفهوم وحدة الأمة الإسلامية والقرآن الكريم وخصائص المجتمع الإسلامى، ورؤية إسلامية للمسئولية العالمية المعاصرة. والثالث الإسلام وتيارات الفكر الغربى وهو أيضا لا يتعلق بموضوع الكتاب مباشرة. ويتضمن الكتاب والاستشراق ودور مؤسسات الدعوة حيال الغزو الفكرى، ومستقبل الإسلام فى الغرب. إنما يأتى موضوع الكتاب فى الخاتمة العامة "حول هموم العالم الإسلامى" وهى تحليلات للواقع المباشر وليس دراسة للتراثين الإسلامى والغربى. يعادل الجبهة الثالثة "الموقف من الواقع" أو "التنظير المباشر للواقع" فى مشروع "التراث والتجديد". وهو يعبر بطريقة واضحة عما يشعر به الناس وما يقوله الدعاة، أقرب إلى خطب الجمعة العصرية حول ما ينبغى أن يكون المسلمون عليه من التعمير دون التخريب أى الإرهاب، والأخوة والتعاون، والاستنارة والتفكير العلمى ووحدة دون تجزئة ومساواة وتكافل وتعاون وتراحم ومحبة وشورى وعزة وثقة وتسامح. ولا يكفى نقد الآخر دون النقد الذاتى ومواجهة التحديات فى مرحلة حاسمة. وهو أقرب إلى الإسلام النصى، ما ينبغى أن يكون دون تحليل لواقع المسلمين وأوضاعهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية كما يفعل عالم الاجتماع. الواقع مستنبط من النص وليس مستقلا. ويتحول الأستاذ إلى داعية، والمفكر إلى خطيب ينتقى من النصوص ما يشاء.

و"الحضارة فريضة إسلامية" يبين ضرورة الانفتاح على حضارات العصر

---

(١) السابق ص٨.

كما انفتح القدماء على حضارات عصرهم[1]. يتضمن ثلاثة فصول: الأول مفاتيح الحضارة، الإنسان والدين والإنسان والالتزام الأخلاقى. والثانى الحضارة فريضة إسلامية تكرارا لعنوان الكتاب، التفكير، العلم، الوقت، العمل، حسن المعاملة، حقوق الإنسان، الجمال، الحفاظ على البيئة، الرفق بالحيوان، النظام. والثالث التجديد فى الفكر الإسلامى، سنة الحياة، صور التجديد، التدرج، آلية التجديد، الإسلام والتنوير خاصة ابن رشد. وهو صغير الحجم نسبيا. يعطى ثقافة إسلامية مستنيرة. يستعمل المصطلحات الحديثة مثل التقدم وحقوق الإنسان مؤيدا إياها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

والمصلح هو الذى ينقل تراثه على مستوى العصر، ويجعله مستمرا عبر التاريخ. وهذا هو القصد من "الإسلام فى عصر العولمة"[2]. والعولمة من أهم أحداث العصر. ويضم أربعة فصول: الأول الإسلام ومتغيرات العصر. والثانى الإسلام والغرب وهو أقرب إلى موضوع الاستشراق تاريخيا عن التراث العربى فى أوروبا أو مستقبليا عن مستقبل الإسلام فى الغرب أو الحالة الراهنة للعلاقة بين الشرق والغرب. والثالث من قضايا العصر، حوار الأديان، والحوار الحضارى، والاستنساخ البشرى. والرابع آفاق بشرية عن قضايا الإنسان والإسلام فى القرن الواحد والعشرين. وهو أقرب إلى وصف الواقع الحالى مدعما بالإحصائيات أكثر منه بالنصوص الدينية[3].

---

(١) الحضارة فريضة إسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦. "من أجل تضافر الجهود لدفع مسيرة النهضة الإسلامية إلى المشاركة الجادة فى صنع الحضارة حتى تتبوأ الأمة الإسلامية المكان اللائق بها على خريطة العالم فى الألفية الجديدة وأن تترجم الآمال إلى أعمال على أرض الواقع"، السابق ص٦.

(٢) الإسلام فى عصر العولمة، مكتبة الشروق، القاهرة ٢٠٠١.

(٣) السابق ص١٤.

ويكتب المصلح الداعية المستنير "الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى"[١]. وهو أقرب إلى مجموعة من خطب الجمعة المستنيرة فى موضوعات الفضائل الخلقية كما هو الحال فى التصوف الخلفى عند رابعة والحسن والترمذى والبصرى وصوفية القرنين الثانى والثالث. وكلها حول الإنسان ذلك البعد الذى يبدو فى الظاهر ناقصا فى تراثنا القديم. وتكشف القيم عن الدين الباطنى كما هو الحال عند فلاسفة الأخلاق مثل شيلر ولافيل. تقوم على تحويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى تجارب إنسانية فردية وجماعية. وبعض التجارب دون نصوص[٢]، فى بداية كل باب. ويضم الكتاب بابين. الأول الإنسان فى التصور الإسلامى وهو بالرغم من ضعفه خليفة الله فى الأرض. كرمه الله بالعقل وجعله كائنا مفكرا، مكلفا مستمرا، قادرا على العلم والعمل وعمارة الأرض، مسئولا عما يفعل، لا فرق بين ذكر وأنثى، له حقوق وعليه واجبات، وللآخرين وللبيئة كذلك. والثانى القيم فى التصور الإسلامى. منها ما يتغير بتغير العصر ومنها ما هو ثابت. وهى فطرية فى النفس مثل المسئولية والعلم والعمل والحرية والأمانة والوفاء والرحمة والتسامح والتواضع، والنظام والوقت والتعاون والصداقة والانتماء والبشاشة والأمل والتعالى أو المفارقة. وهى قيم مستقلة عن الرسالة والرسول فى آن واحد[٣]. لا فرق بين الآيات القرآنية والأمثال الشعبية فى دلالتها على التجربة الإنسانية[٤]. ويفسر النص عن طريق إيجاد مقابلة فى الواقع والمناظر الشعبية[٥]. الأفكار شائعة عند طيبى القلوب. والفكر بديهى يعبر عن الفطرة والحس السليم. يكفى النص أحيانا وأحيانا أخرى يشفع بالتحليل الإحصائى

---

(١) الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٤.

(٢) السابق ص١٣-١٦/١٤٣-١٤٧.

(٣) السابق ص١٥٧.

(٤) السابق ٢٠٥/٢٠٩/٢١٦/٢٢٦/٢٢٩.

(٥) السابق ص٢٠٩.

للواقع[١]. وتغرق بعض التحليلات فى النصوص التراثية ولو فى الهوامش. هى أقرب إلى الظاهريات الاجتماعية بلغة المحدثين دون مصطلحاتها وتعقيداتها. ويحال إلى الثورة المصرية وإحدى شعاراتها فى البداية "الاتحاد والنظام والعمل[٢].

وتتوالى الكتابات الإصلاحية فى السنوات الأخيرة تحت وطئة المنصب الرسمى مثل "المسلمون فى مفترق الطرق"[٣]. يبدأ من الواقع، لا من التراث القديم، ولا من التراث الغربى. وهو الجبهة الثالثة فى مشروع "التراث والتجديد". بل هو الواقع الإحصائى لمزيد من الدقة[٤]. فالمسلمون لا ينفقون أكثر من ١% من دخلهم القومى على البحث العلمى. وهم يكونون ٦٠% من ماليزيا فى مجتمع متعدد الأعراق والملل. كما يعتمد على التحليل الاجتماعى. ويبين أهمية التكافل الاجتماعى لحل مشكلة التفاوت الشديد بين الأغنياء والفقراء[٥]. ويحلل الأبعاد السياسية والاقتصادية للمجتمع دون الاكتفاء بوصف النص لما ينبغى أن يكون، ويترك ما هو كائن بالرغم من إدانته لظاهرة الإرهاب كما تفعل السياسات الرسمية وتقريظه للسلام[٦]. ويرد على الأحكام المسبقة لبابا روما فى تصوره

---

(١) الحياد بالنصوص فقط، السابق ص١٧٢-١٧٥، إحصائيات الواقع ص١٧٧.

(٢) "وقد أدرك قادة الثورة المصرية عام ١٩٥٢ الأهمية البالغة لقيمة النظام فى حياة المجتمع فجعلوا أحد عناصر الشعار الثلاثى الذى رفعته الثورة آنذاك وهو: "الاتحاد والنظام والعمل"، ولكن الأمر الأهم من رفع الشعارات الجميلة هو تفعيلها وتحويلها إلى واقع حياتى ملموس يتحقق بالتغيير الحقيقى لأنماط السلوك فى المجتمع لما ينبغى أن يكون"، السابق ص٢٠٧.

(٣) المسلمون فى مفترق الطرق، دار الرشاد، القاهرة ٢٠٠٧.

(٤) السابق ص٤٣/٥٠.

(٥) السابق ١٤٦.

(٦) السابق ص١٢٣-١٢٩/١٧٧-١٨١.

للإسلام[1]. والتقريب بين السنة والشيعة ليس مصريا فقط بل هو مصرى إيرانى بمبادرة الشيخ شلتوت والشيخ القمى، ومازالت المؤسسة قائمة بنشاطاتها ونشراتها ومجلاتها برئاسة محمد على تسخيرى فى إيران بعد أن ماتت فى مصر[2]. ويضم الكتاب ثلاثة أقسام: الأول المسلمون والمشكلة الحضارية عن الإسلام والعلم ونهضة ماليزيا، والإعجاز العلمى للقرآن، والتضامن الغائب بين المسلمين وأهمية التقريب بينهم. والثانى مفاهيم مغلوطة للدين مثل الإرهاب والشعارات الدينية والاتجار بها وغياب العقل والتكافل الاجتماعى واحتكار تفسير الدين. والثالث المسلمون فى عالم متعدد عن التنوع سنة الحياة وموقف الإسلام من العولمة، والقيم الاجتماعية والتفاعل الثقافى، والحوار بين الأديان، والحوار الإسلامى المسيحى، وحرية الاعتقاد والاعتراف بالآخر. والهدف هو إخراج العالم الإسلامى من أزمته وعدم قدرته على التكيف مع أوضاع العالم المعاصر، وفقره، وصراعاته الطائفية، ويأسه، وغياب النقد الذاتى فيه، وعجز العلماء عن تشخيص دائها. يحتاج العالم الاسلامى إلى صحوة عقلية بما له من رصيد حضارى[3].

ويظهر المصلح، المفكر الداعية فى "الفكر الدينى وقضايا العصر"[4]. يقوم على التنظير المباشر للواقع والتعبير عنه بأسلوب خطابى للمصلح وليس بأسلوب برهانى للفيلسوف. يعتمد على حديث المجددين وضرورة الاجتهاد واستمرار النهضة وإحياء مدرسة محمد عبده وضرورة تطهير الدين من الخرافات والتبرك

---

(١) السابق ٢٣٦-٢٤٩.

(٢) السابق ص٩٧-١٠٢.

(٣) السابق ص٧-١١.

(٤) الفكر الدينى وقضايا العصر، دار الرشاد، القاهرة ٢٠٠٦-٢٠٠٨.

بالرسول[1]. كما يعتمد على العقل أولا قبل القرآن والحديث. ويضم خمسة فصول: الفكر الدينى والحقائق الغائبة، العقل الإنسانى ودوره فى التقدم الحضارى، قضايا معاصرة فى ضوء تعاليم الإسلام، الإسلام والغرب وقضايا الحوار، حوار مع الماضى البعيد. ويضم كل فصل عدة موضوعات يمكن جمعها فى ثمان محاور: الأول العقل والاجتهاد والتجديد والفلسفة والنقد ضد الخرافة. والثانى الحرية والسنن والقضاء. والثالث مقاصد الشريعة وحقوق الإنسان والقيم. والرابع التواصل الإنسانى والزواج العرفى والانتماء. والخامس المقاومة والأمن والإرهاب. والسادس التقدم والمستقبل والتراث والمعاصرة. والسابع الحوار الدينى، الإسلام والغرب والتسامح والوعى الحضارى. والثامن بشرية الرسول والإساءات له. فالخلل هنا مصدره الفكر الدينى وإصلاحه بإصلاح الفكر الدينى.

ويخاطب المصلح الجمهور فى كتيبات من خلال سلسلة "قضايا إسلامية" التى تصدر غرة كل شهر عربى[2]. الأول "الدين للحياة" وهو ما حاوله التراث الغربى من قبل عند فلاسفة الحياة منذ شليرماخر ودلتاى حتى برجسون وهوايتهد، ووليم جيمس وماكس شيلر. ويطور به محاولات المجددين مثل الطهطاوى ومحمد عبده والمراغى وشلتوت وإقبال ومالك بن نبى دون ما حاجة إلى إضافة ولى العهد البريطانى الأمير تشارلز أو وزير خارجية بريطانيا السابق روبرت كوك[3]. ويحيل إلى المفكرين المعاصرين، الدعاة الإصلاحيين، مثل محمد الغزالى وخالد محمد خالد[4]. ويضم خمسة فصول: اولا الدين فى حياة الأفراد والجماعات، مع الحوار بين الأديان. ثانيا القيم والحياة بما فى ذلك العدل

---

(١) السابق ص٥٥-٥٦.

(٢) الدين للحياة، قضايا إسلامية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٩.

(٣) السابق ص٩٤-٩٦/١١١.

(٤) السابق ص٢٣.

وحقوق الإنسان والسلام الاجتماعى والتوتر الطائفى. ثالثا، تجديد الفكر الدينى دون تفصيل نظرا للتعرض لنفس الموضوع من قبل. رابعا الإسلام والغرب، حوار أو تواصل والخلفية الفكرية للتصورات السلبية عن الإسلام فى الإعلام الغربى. خامسا ضرورة النقد فى حياتنا مبينا أزمته بالرغم من وجوده فى الفلسفة الإسلامية. ويعتمد كل موضوع على نص من الكتاب أو السنة ثم وصف التجربة الإنسانية وراءه.

وطالما لجأت الحركات الإصلاحية إلى الشاطبى فى كتابه "الموافقات" لبيان أن الشريعة مقاصد كما فعل علال الفاسى والطاهر بن عاشور ضد الشكليات والمظاهر الخارجية فى الدين. وقد ظهر ذلك فى "مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد"[1]. يبدأ من الواقع مثل الانفجار السكانى فى مصر وزيادة السكان بما يزيد على المليون وربع طفل سنويا مما يتطلب توفير الغذاء والكساء والتعليم لهم. ويتضمن قسمين: الأول مقدمات عامة حول الشريعة الإسلامية وخصائصها، والفقه الإسلامى وضرورة تجديده، ومبدأ الاجتهاد، وحركة الفكر الفقهى لدى القدماء. والثانى مقاصد الشرعية الإسلامية الخمسة، حفظ النفس والعقل والدين وصلة العقل به وحفظ النسل بضرورة تنظيمه وحفظ المال وضرورة التكافل الاجتماعى. ومقاصد الشريعة ترتبط بأصول الفقه أكثر مما ترتبط بالفقه ذاته لأنها أحد وسائل استنباط الأحكام وطرق الاستدلال. وتذكر المقاصد الخمسة المعروفة دون تطوير أو قراءة جديدة أو تطبيقات حديثة لها[2].

٥- الفيلسوف.

والآن بعد الصديق والأستاذ والمحاور والمصلح هناك الفيلسوف.

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد، قضايا إسلامية، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٩.

(٢) السابق ص٩٤-٩٥.

والفيلسوف هو روح المراحل كلها. هى المرحلة الثابتة الدائمة، مثل الصديق مهما تعددت الوظائف والمهام من الأستاذ إلى المحاور إلى المصلح. وهناك عدة تساؤلات له لمزيد من التوضيح والتطوير والدقة فى نظامنا الفلسفى.

١- كيف يمكن الجمع بين الغزالى وابن رشد وهما على طرفى نقيض فى الفكر الفلسفى، الصوفى والفيلسوف، "تهافت الفلاسفة" و"تهافت التهافت"، إنكار السببية وإثبات الضرورة، جعل الأشعرية عقيدة السلطان ونقد الأشعرية من أجل إفساح المجال لمعارضة السلطان؟[١] اختار العالم الإسلامى الغزالى دون ابن رشد، واختار العالم الغربى ابن رشد دون الغزالى. فتخلف الأول، وتقدم الثانى. ففى كل المؤلفات يظهر الغزالى باعتباره نموذج الفيلسوف الإسلامى فى نظرياته فى المعرفة والأخلاق[٢]. فالغزالى هو الحل. مع أنه فى تيارات أخرى عقلانية علمية تعددية، الغزالى هو المشكلة. دافع عن أيديولوجية السلطان فى "الاقتصاد فى الاعتقاد". ووصف الله باعتباره سلطانا، ووصف السلطان باعتباره إلها. وهو أول من أضاف حديث الفرقة الناجية فى كتب العقائد للدفاع عن الأشعرية ضد فرق المعارضة، المعتزلة والخوارج والشيعة. وأعطى الناس "إحياء علوم الدين"، أيديولوجية للطاعة تقوم على الصبر والتوكل والرضا والزهد والخوف والفناء. وألجم العوام عن علم الكلام. ليس المهم آراء الغزالى الجزئية بل قصده الكلى وموقفه من العقل والتعددية والسلطة.

يستشهد بالغزالى فى حرية الإرادة مع أنه قد تم ابتلاعها فى الإرادة الإلهية. ويذكر رأيه فى السعادة مع تصنيف أنواع الخيرات من البدنية إلى النفسية إلى الروحية[٣]. ويستشهد به فى وحدة العقل والدين[١]. وفى نفس الوقت

---

(١) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص٥١-١٤٢.

(٢) مقدمة فى علم الأخلاق ص٣٤-٣٥/١٠٠-١٠٢.

(٣) تمهيد للفلسفة ص١٠٢.

يتم الاستشهاد به فى وجود الإلهام من "إحياء علوم الدين"[٢]. فالغزالى مخزن كل شىء. وهو الفيلسوف النموذج فى "مقدمة فى الفلسفة الإسلامية"[٣]. تصنيفه للعلوم هو الأمثل، وفى صلة العقل بالدين هو الأحق. وفى القيم الأخلاقية هو المفضل مع مسكويه. وفى المقارنة مع الفلسفة الأوروبية هو الأوفق مع هيوم ومع الفلسفة النقدية. يوحد بين العقل والإيمان[٤].

ويبرر الفيلسوف التصوف باعتباره تجربة إنسانية عامة. ومعظم الحركات الإصلاحية لها موقف نقدى منه[٥]. والنشر الوحيد ثلاث رسائل فى المعرفة للغزالى[٦].

ويستشهد بالغزالى فى أن العقل نور من الله وفى-نفس الوقت يدافع عن ابن رشد ضد هجوم الغزالى على الفلسفة فى "تهافت الفلاسفة"[٧]. ويحال إليه فى مفهوم المصلحة وأنواعها[٨]. ويكثر الاستشهاد به فى النص وفى الهوامش فى "الإسلام وقضايا الحوار". ويلجأ إلى نصين متقابلين، الأول عن العقل، والثانى

---

(١) السابق ص١٠٢.

(٢) السابق ص١٥٨-١٦٢.

(٣) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص٢٣-٢٤/٥١-١٠٩/١٨٩-١٩٠/١٩٩-٢٠١/٢٠٣-٢٠٤.

(٤) هموم الأمة الإسلامية ص٦١/٦٣. فى الفلسفة والثقافة والسلام فى الإسلام (بالإنجليزية) ص٣٦.

(٥) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص١٦١-١٧٦.

(٦) من التراث المخطوط للإمام الغزالى، ثلاث رسائل فى المعرفة لم تنشر من قبل، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٩.

(٧) الدين والفلسفة والتنوير ص١٣/٨٤.

(٨) الحضارة فريضة إسلامية ص٩٧.

عن الإلهام[1]. ويحال فى "الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى" إلى الغزالى فى نظرية المعرفة والسببية ومباهج الدنيا الثلاثة، النساء والطيب والصلاة، طبقا للحديث الشهير[2]. ويحال إلى الغزالى فى "الإسلام والغرب" فى ضرورة العلم بالمذهب موضوع النقد أكثر من واضع المذهب نفسه[3]. ويحال إلى الغزالى فى "المسلمون فى مفترق الطرق" فى "ميزان العمل" ومناهضته للتكفير، وتعريفه للعقل بأنه نور الله[4]. وفى نفس الوقت يحيل إلى ابن رشد فى أن دراسة ثقافات الأمم الأخرى واجب شرعى[5]. ويحال إلى الغزالى فى "الدين للحياة" فى موضوعات الرحمة ونظرية المعرفة وسبقه لديكارت فى التوصل من الشك إلى اليقين[6]. ويحال إليه مرة أخرى فى دفاعه عن العقل ونقده للسببية[7].

٢- وإذا تم توظيف الثقافتين، الوافد والموروث، فإن الموروث يظهر على استحياء فى عرض الوافد. كما يظهر الوافد على استحياء فى عرض الموروث دون منطق دقيق فى المقارنة بين الثقافتين. ظهر ذلك منذ البداية "المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت"، فهو أقرب إلى عرض الغزالى منه إلى عرض ديكارت على التساوى. الغزالى مرآة وديكارت مرئى. والتركيز على المرآة أكثر من المرئى. وفى "مقدمة فى علم الأخلاق" المادة كلها من الوافد سواء فى المقدمات العامة أو نشأة علم الأخلاق وتطوره أو المقاييس الخلقية أو النظريات الأخلاقية

---

(١) الإسلام وقضيا الحوار ص١٦/٩٧ (هوامش ص٢٣/١١٤/٢٢٥). ويحيل إلى "المنقذ من الضلال" و"كيمياء السعادة" و"مشكاة الأنوار".

(٢) الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى ص٥٤/١٢١/١٢٣.

(٣) الإسلام والغرب ص٣١.

(٤) المسلمون فى مفترق الطرق ص٤٥/٩٢/٢٤٢.

(٥) السابق ص١٧٤.

(٦) الدين للحياة ص١٣/٩٤/١٤٥-١٤٩.

(٧) مقاصد الشريعة الإسلامية وضرورات التجديد ص٧٨-٧٩/٩٤.

أو القيم والفضائل. يغلب عليها المنهج التاريخى الذى يعرض ويرصد ويقرر منذ سقراط وأفلاطون وأرسطو فى العصر الحديث مرورا بكانط. وتلحق الفلسفة الإسلامية فى نظرية السعادة فى نظريات أخلاقية أو فى القيم والفضائل فى الفضيلة لدى مفكرى الإسلام[١]. وفى "تمهيد للفلسفة" تظهر الفلسفة منتقلة من الشرق إلى الغرب كما هو الحال فى المؤلفات الغربية. ويظهر التراث الإسلامى على استحياء، انتقالا من اليونان إلى الغرب فى "مفهوم الفلسفة فى محيطها الإسلامى"، الكندى والفارابى وابن سينا والشريف الجرجانى قبل العصر الوسيط والعصر الحديث[٢]. كما يظهر فى الفصل الرابع من المقدمات بعنوان "الإسلام والفلسفة" عن موقف الإسلام من العقل ودور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى، وهو خارج نسق الفلسفة، مفهوم الفلسفة ومجالاتها. ولا يظهر فى المباحث الفلسفية، المعرفة والوجود[٣]. بل إنه يذكر تواريخ ميلاد الفلاسفة المسلمين ووفاتهم بالميلادى وليس بالهجرى[٤]. ومازال الإطار العام هو الفلسفة الغربية. فالعلاقة بين الفلسفة والعلم أو الفلسفة والفن مشكلة غربية أكثر منها إسلامية فى حين أن العلاقة بين الفلسفة والدين أو الحكمة والشريعة أو النقل والعقل مشكلة إسلامية[٥]. ويغيب موقف الحنابلة والصوفية المعادى للفلسفة والنظر العقلى. فمهما تم إدخال الموروث فى "التمهيد" فإنه يظل أقرب إلى الوافد[٦]. ولا يكفى ظهور الصوفية فى مادة "إلهام". وفى "دراسات فى الفلسفة الحديثة" يظهر التراث

---

(١) مقدمة فى علم الأخلاق ص٩٧-١٠٢/١٤٨-١٥٨.

(٢) تمهيد للفلسفة ص٤٣-٤٦.

(٣) السابق ص١٨/٣١-٥٤/٥٧-٨٧-١٠٥.

(٤) السابق ص٤٤-٤٥.

(٥) السابق ص٦٥-٧٠.

(٦) السابق ص١٥٧-١٦٢.

الإسلامى عن بعد فى أسبقية المسلمين فى الوصول إلى منطق الاستقراء[١]. وهو من المؤهلين فى ذلك مثل جيل سابق[٢]. ويقل الوافد كلما كان الموضوع تجربة حية تعتمد على الشعر العربى[٣].

وترجمة "مدخل إلى الفكر الفلسفى" لبوخينسكى تقتصر على الفلسفة الغربية دون مقارنات فى الهوامش مع الفكر الإسلامى. الهوامش للتعريف بأعلام الفلسفة الغربية فقط ومصطلحاتها. ويعطى قراءات غربية للفلسفة اليونانية خاصة أفلاطون[٤]. يحال فقط إلى الرسالة الأولى "المنهج بين الغزالى وديكارت"[٥]. وفيها يظهر الغزالى أكثر مما يظهر ديكارت بالرغم من عرض التراثين فى الباب الأول[٦]. الباب الثانى كله مدخل تاريخى فى الغزالى، عصره وحياته ومؤلفاته[٧]. ولا يوجد مدخل مشابه لديكارت. ربما لأن الرسالة مقدمة فى الغرب الذى يحتاج إلى معرفة أكثر عن الغزالى مما يحتاج عن ديكارت. ويحيل الباب الثالث "مقارنة بين المبدأ الفلسفى التأسيسى عند الغزالى وديكارت" إلى الغزالى أكثر مما يحيل إلى ديكارت[٨]. والباب الرابع "العقل ومجاله" معظمه فى الغزالى أكثر مما هو فى ديكارت[٩].

---

(١) دراسات فى الفلسفة الحديثة ص٣٠.

(٢) عثمان أمين، عبد الرحمن بدوى، أبو ريدة، زكريا إبراهيم، ومصطفى حلمى وغيرهم.

(٣) الإنسان والقيم فى التصور الإسلامى ص٢٠٢/٢٢٤.

(٤) مدخل إلى الفكر الفلسفى ص٥٥.

(٥) السابق ص١٠٠.

(٦) المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت ص٢٩-٦٠.

(٧) السابق ص٦٣-٨٠.

(٨) السابق ص٨٣-١٦٣.

(٩) السابق ص١٦٧-٢٠٥.

ويُوظف التراثين الإسلامى والغربى دفاعا عن العقل واتحادهما فى الرشدية اللاتينية[١]. والتنوير مفهوم غربى يوضع تحته ابن رشد ومعظم الحركات الإصلاحية. ولكل حضارة مقولاتها[٢]. بل إنه يستعمل كعنوان فى "الدين والفلسفة والتنوير". ويُعاد التنوير فى الفكر الأوروبى[٣]. ويستعمل لعرض اتجاهات الفلسفة الإسلامية فى "مفهوم التنوير فى فكر ابن رشد"[٤].

ويحال إلى التراث الإسلامى أكثر مما يحال إلى التراث الغربى فى "الإسلام وقضايا الحوار" بالرغم من أنه فى الأصل الألمانى موجه إلى الجمهور الأوروبى. ويستعمل لفظ "الأقليات" وهو لفظ غربى كمى لا يستعمل فى التراث الإسلامى الذى يفضل الأمم والأقوام والشعوب[٥]. ويذكر المترجم تاريخ وفاة الفلاسفة المسلمين بالميلادى وليس بالهجرى فى كتاب "فى الفلسفة والثقافة والسلام فى الإسلام"[٦].

٣- مازال فى فكرنا الفلسفى فى مصر والوطن العربى والعالم الإسلامى أن المثالية أقرب إلى الإيمان من الواقعية، وأنها قرينة الدين والواقعية أبعد منه، وأن أفلاطون يقود إلى الله أكثر من أرسطو الذى يقود إلى العالم. وهى قسمة شائعة قد تصح فى المسيحية "مملكتى ليست من هذا العالم" ولكنها لا تصح فى اليهودية مملكة داود وسليمان ولا فى الإسلام، خلافة الإنسان فى الأرض. وهو ما اختاره أساتذة من قبل، توفيق الطويل وعثمان أمين وانتسابهما إلى المثالية

---

(١) الدين والفلسفة والتنوير ص٨٥-٨٩.

(٢) السابق، مفهوم التنوير فى فكر ابن رشد ص٧٥-٩٦.

(٣) الحضارة فريضة إسلامية ص١٠١-١٠٢.

(٤) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص١٣٠-١٤٢.

(٥) الإسلام وقضايا الحوار ص٢٠٣.

(٦)On Philosophy, Culture and Peace in Islam p.33, 36 .

الخلقية أو المثالية الترنسندنتالية. هناك تعارض بين السماوى والطبيعى، وهو التعارض التقليدى بين المثاليين والواقعيين[١]. اللذة والسعادة والمنفعة أقل قيمة من الحكمة والمعرفة والعلم والتقوى. يبدو التعاطف المبدئى مع كانط. وإن تم نقده فهو نقد شائع، الصورية والشكلانية[٢]. وينقد التطرف المادى والتطرف المثالى ويدعو إلى الوسطية الإسلامية التى توظف أحيانا ضد جماعات المعارضة[٣]. وإذا تم نقد ليبنتز فمن رأى النقاد، رأى الآخرين.

لذلك يخصص قسم فى "التمهيد" لنقد المادية الجدلية، آرائها الأساسية ومضمونها أكثر مما يتم نقد المذاهب الروحية والثنائية[٤]. والدليل على ذلك انهيار الشيوعية عام ١٩٩١ فى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية مستشهدا بسولشينشن الذى أعطاه الغرب جائزة نوبل عام ١٩٧٠[٥]. ويتمنى لشرازم الماركسيين العرب بنفس المصير. وماذا عن أزمة الرأسمالية ونظامها النقدى الذى بدأ فى الانهيار هذا العام ٢٠٠٩ وضاعت فيه مئات المليارات من ثروات النفط العربية المودعة فى البنوك الأمريكية؟ ويُفضل أفلاطون على أرسطو. قد

---

(١) مقدمة فى علم الأخلاق ص٦٦.

(٢) السابق ص١٢٨-١٣١.

(٣) السابق ص١٢٨-١٤٩/٢٦٧.

(٤) تمهيد للفلسفة ص١٩٣/٢٠٣/٢٢١-٢٣٤.

(٥) "ونود أن نشير فى هذه المقدمة أيضا إلى التطورات الهامة والتحولات الجذرية على المستوى الدولى وخاصة فيما يتصل بانهيار الشيوعية فى عقر دارها فيما كان يعرف حتى أواخر عام ١٩٩١ بالاتحاد السوفيتى ومن قبله فى دول الكتلة الشرقية فى أوروبا. فهذا الانهيار القاتل للتيار الماركسى يدعم بقوة ما عرضناه من نقد علمى للمادية الجدلية. أما الذين لا يزالون يتشبثون بأذيال الماركسية فى الصين وكوبا ومن خلفهم شرازم الماركسيين العرب فسيلقون نفس المصير إن عاجلا أو آجلا وإن غدا لناظره قريب"، السابق ص٣-٤.

يجوز ذلك فى المسيحية ولكن فى اليهودية والإسلام تفضيل أرسطو على أفلاطون. فواقعية أرسطو وواقعية الإسلام متشابهتان. لذلك أعجب المسلمون بأرسطو وأصبح هو المعلم الأول[1]. وهذا هو الذى يجعل الفيلسوف يأخذ مواقف مسبقة لصالح المثالية ضد أحد أشكال الواقعية. والفلسفة بحث عن الحقيقة وليس الحكم عليها مسبقا. وإذا كان الغرض من الدراسات الفلسفية إثارة اهتمام الطلاب والبحث الجاد والعميق عن الحقيقة فإن معرفتها مسبقا يحيلها إلى قطعية وهى ضد روح التفلسف كما رآها كانط وتحول منها إلى الفلسفة النقدية[2].

٤- مازال الفيلسوف أسهل له وصف ما ينبغى أن يكون عن تقرير ما هو كائن. يتحدث عن الإسلام المثالى أكثر مما يتحدث عن حال الأمة وواقعها وكيفية تحقيق المثال فى الواقع أو توجيه الواقع نحو المثال. فالعجز عن تغيير الواقع والتعامل معه، فهما وتغييرا، يحوله إلى مقدس أو صنم أو إله. يصبح مثالا خارج الزمان والمكان كما فعل الصوفية. وإذا كان الفيلسوف خطيبا أو واعظا فإنه أسهل له التعبير عما يتمنى من تحليل الواقع المتشابك. عالم التمنى يحتاج إلى شعر. وعالم الواقع يحتاج إلى إحصائيات. وهذا هو الذى يدفع إلى استعمال منهج النص. فمازال الفيلسوف يعتمد على منهج النص ويستنبط منه الفكر بل والواقع فيأتى بإسلام مثالى لا وجود له فى الواقع. ويأخذ من النص موقفا انتقائيا، النص الذى يسهل الاعتماد عليه فى الدفاع، ويترك النص الذى يحتاج إلى ردود. فالأخلاق أوامر النصوص وليست تحليلا لسلوك الناس ودوافع البشر وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[3]. تتوالى النصوص واحدا تلو

---

(١) السابق ٢٤٧-٢٤٩.

(٢) تمهيد للفلسفة ص٤.

(٣) مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص١٨١-١٩١.

الآخر وكأنها حجج بذاتها[1]. ويكثر من استعمال النصوص دون تحليل كامل لها لمعرفة اتجاهات المعنى ومقاصد النص فى "الإسلام وقضايا الحوار". وتكثر الحجج النقلية أكثر من الحجج العقلية. وكثيرا ما تكون الآيات أو الأحاديث شائعة يتناقلها الناس فيما بينهم فأصبحت معلومات عامة[2].

٥- فى مرحلة الأستاذ يعرض الفيلسوف المذاهب الفلسفية والأخلاقية تأليفا وترجمة ومراجعة أكثر مما يناقش ويؤول ويقرأ ويفسر. صحيح أن الموضوعية والحياد مطلوبان، ولكن الفكر قراءة وتأويل وتجاوز. لا يوجد رأى إلا ويقابله رأى آخر. تاريخ الفكر ليس تاريخ أشياء أى تاريخ موضوعات بل هو تاريخ رؤى وآراء أى تاريخ ذوات. قراءة الفيلسوف غير قراءة المؤرخ. فقد قرأ الهيجليون هيجل، والكانطيون كانط، والماركسيون المعاصرون ماركس بطرق مختلفة.

٦- وقد تكون هناك مواقف سياسية غير مباشرة مثل الدفاع عن الوسطية باسم العقل[3]. فالوسطية أولا موقف اجتماعى سياسى يدافع عنها العقل. وهى أقرب إلى دعوة النظم السياسية القائمة ضد حركات المعارضة. فكل معارضة للحاكم توصف بالتطرف يمينا أو يسارا، إسلامية أو ماركسية. ويستطيع الإنسان أن يجد فى النصوص، الكتاب والسنة ما يرفض الوسطية[4]. ويتكرر مفهوم الوسطية فى معظم المؤلفات حتى فى المقارنة بين المنهج الفلسفى عند الغزالى

---

(١) الإسلام فى مرآة الفكر الغربى ص١٣٧.

(٢) بمعنى Common Knowledge، فى الفلسفة والثقافة والسلام فى الإسلام ص٦١/٨٤/٩٩.

(٣) تمهيد للفلسفة ص٩٩-١٠٤.

(٤) مثل ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ . وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾، ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾.

وديكارت مع مبدأ الاجتهاد[١]. لذلك يكثر الهجوم على الماركسية تقريبا فى كل كتاب. فهى صنم من أصنام العصر الحديث جاء الإسلام ليحرر الإنسان منها[٢]. ويكاد لا يخلو كل مؤلف من نقد للشيوعية. فالشيوعية شبيهة بالاستشراق منذ أصبح الإسلام هو العدو فى الغرب بعد سقوط الشيوعية[٣]. وكان الفيلسوف أستاذاً بكلية الشريعة بقطر. كما يستعمل ألفاظا حكومية رسمية مثل الإرهاب فى "الإسلام وقضايا الحوار"[٤].

٧- وأحيانا تعرض المذاهب الفلسفية خارج تطورها التاريخى والحضارى، فالوسيط المسيحى قبل الإسلامى، وكلاهما قبل اليونانى[٥]. وفى مباحث المعرفة الهيجلية والماركسية قبل الديكارتية[٦]. صحيح أن تاريخ الفلسفة أحد مجالات الفلسفة ولكنه يعبر عن تطور الوعى الذاتى، له غائيته وليس مجموعة من المذاهب المتتالية المتراصة كما هو الحال فى الملخصات المدرسية. وفرق بين تاريخ هيجل أو فيورباخ أو حتى رسل للفلسفة وتاريخ برييه أو يوسف كرم. الأول فيلسوف يقرأ الفلسفة/ والثانى مؤرخ يقرأ مقاطع التاريخ.

مؤلفات الأستاذ الأولى لم تكن مقالات مجمعة فى أبواب وفصول بل كانت كتبا نسقية لها بنية داخلية. وكان أولها "مقدمة فى علم الأخلاق"[٧]. أما "مقدمة فى

---

(١) المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت ص٤٣-٤٤، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص٤٠-٤٥.

(٢) الإسلام فى مرآة الفكر الغربى ص٤٨.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى ص١٤.

(٤) الإسلام وقضايا الحوار ص٢٥٥.

(٥) تمهيد للفلسفة ص٤٣-٥٧.

(٦) السابق ص٢٠٧-٢٦٧.

(٧) خمسة فصول: ١- مقدمات عامة. ٢- نشأة علم الأخلاق وتطوره. ٣- المقاييس الخلقية. ٤- نظريات أخلاقية. ٥- القيم والفضائل.

الفلسفة الإسلامية" فمجموعة مقالات مجمعة فى ثمانية فصول[١]. و"المسلمون فى مفترق الطرق" مقالات مجمعة، معظمها أوراق قدمت فى مؤتمرات وندوات محلية. معظم المؤلفات خاصة فى مرحلة الحوار مع الغرب مقالات وبحوث وأوراق فى مؤتمرات محلية ودولية تم تجميعها فى أبواب وفصول[٢]. تمثل حدوسا قصيرة ومركزة، واضحة ومقنعة لجمهور المستمعين. ومعظم أعماله خاصة فى مرحلتى المحاور والمصلح مقالات فى مجلات وأوراق بحثية فى مؤتمرات مجمعة طبقا لموضوعاتها فى أبواب وفصول. بل إن "مدخل إلى الفكر الفلسفى" لبوخينسكى فى الأصل الألمانى كان عدة أحاديث فى إذاعة بافاريا[٣]. و"الدين والفلسفة والتنوير" أربع مقالات فى مناسبات مختلفة[٤]. وكتب "هموم الأمة الإسلامية" فى مناسبات عدة[٥]. و"الإسلام فى عصر العولمة" أيضا مجموعة من المقالات معظمها فى جريدة الأهرام، الجريدة الرسمية للدولة، مجمعة فى فصول. و"الإسلام وقضايا الحوار" أيضا مقالات كتبت فى مناسبات

---

(١) "كتبت فى مناسبات مختلفة وعلى فترات متباعدة"، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص٣. "والموضوعات التى اشتمل عليها هذا الكتاب تمثل مجموعة مقالات ومحاضرات تم إعدادها فى السنتين الماضيتين وننشرها هنا دون تغيير أو تعديل"، الفكر الدينى وقضايا العصر ص٨.

(٢) وذلك مثل "الإسلام فى تصورات الغرب"، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٨٧.

(٣) جوزيف بوخينسكى: مدخل إلى الفكر الفلسفى ص١٣.

(٤) "عن الفصول الأربعة التى يشتمل عليها هذا الكتاب قد كتبت فى الأصل فى مناسبات مختلفة، وفى فترات متباعدة ولم يكن الهدف عند كتابتها أن تجمع فى كتاب"، الدين والفلسفة والتنوير ص٧. "وهذه الفصول قد كتبت فى الأصل فى مناسبات مختلفة وعلى فترات متباعدة ولم يكن الغرض منها فى الأساس أن تصدر فى كتاب"، الإسلام والغرب ص٦.

(٥) "هذه الفصول... كتبت فى مناسبات مختلفة وفى أوقات متباعدة"، هموم الأمة الإسلامية ص٨، الحضارة فريضة إسلامية ص٥.

عدة باللغة الألمانية لجمهور أوروبى قبل ترجمتها للجمهور العربى[١]. و"فى الفلسفة والثقافة والسلام فى الإسلام" المترجمة إلى الإنجليزية عن العربية مقالات مجمعة فى مناسبات عدة[٢]. وأحيانا يكون الكتاب أقرب إلى عرض كتب الاستشراق الألمانى الذى غرق فيه الأستاذ ولم يخرج منه[٣].

٩- تتكرر آيات وأحاديث بعينها فى كل مقال أو دراسة أو بحث تعبر عن نفس الهموم مثل الاستخلاف فى الأرض والمسئولية والحرية والمساواة والجدل مع الآخرين بالتى هى أحسن واحترام أهل الكتاب، والعقل، والعمل، والعلم كما يفعل الداعية أو الخطيب. ويتجاوز التكرار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى التحليلات ذاتها. فعشرات الصفحات مكررة من "المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت" إلى "مقدمة فى الفلسفة الإسلامية" عن "دور الإسلام فى تطور الفكر الفلسفى"، مبدأ الاجتهاد، وفكرة التوفيق أو الوسطية، ونظرة الإسلام إلى التاريخ[٤]. كما يتكرر الفصل الأول، المعارف العقلية، العقل والحواس، والمعارف الضرورية الأولية والمعارف الميتافيزيقية ومشكلة السببية، والفصل الثانى عن علاقة العقل بالتصوف والنبوة، التجربة الروحية، الإلهام بين الصوفية وأهل النظر، دور العقل، الفلسفة والتصوف فى فكر الغزالى، والعقل والنبوة، إمكان النبوة وعلاقة العقل بالوحى وأنواع العلم، والعلم والاعتقاد[٥]. ويتكرر

---

(١) "والفصول التى يتضمنها هذا الكتاب سبق تقديمها إلى العديد من المؤتمرات والندوات فى عدد من الدول الأوروبية"، الإسلام وقضايا الحوار ص٦-٧.

(٢) On Philosophy, Culture and Peace in Islam p.7 .

(٣) الإسلام والغرب ص٣٩.

(٤) المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت ص٣٧-٥١، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص٣٥-٤٧.

(٥) المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت ص١٦٨-٢٠٨، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص٧٦-١٠٩.

الحل الديكارتى لمشكلة الشك بين "المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت" و"دراسات فى الفلسفة الحديثة"[١]. وتتكرر نفس النصوص من أبواب وفصول فى أكثر من كتاب. ففى "الدين والفلسفة والتنوير" تتكرر نصوص من "مقدمة فى الفلسفة الإسلامية"[٢]. وتتكرر ليس فقط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ولا نصوص الفصول من كتاب إلى آخر بل أيضا الأفكار والرؤى يُعاد تشكيلها وتوظيفها حسب الموضوع مثل "الإسلام فى عصر العولمة". وفى "فى الفلسفة والثقافة والسلام فى الإسلام" (بالإنجليزية) تتكرر عدة فصل من "مقدمة فى الفلسفة الإسلامية" و"المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت"[٣]. وتتكرر عديد من التحليلات فى "المسلمون فى مفترق الطرق"[٤]، و"الدين للحياة" مجموعة من المقالات كتبت فى مناسبات عدة[٥].

---

(١) المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت ص١٥٢-١٥٧، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص٨٧-٩٣.

(٢) الدين والفلسفة والتنوير ص٧٦-٩٤/٩٧-١١٤، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص١٣٠-١٤٢/١٤٥-١٥٧.

(٣) On Philosophy, Culture and Peace in Islam p.9-56 ، مقدمة فى الفلسفة الإسلامية ص٢٧-٤٨، المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت ص٢٩-٦٢

(٤) "وسيلحظ القارئ الكريم تكرار بعض الأفكار فى بعض الفصول، ولكننا لم نشأ أن نحذف منها شيئا نظرا لأن كل موضوع كان مرتبطا بالمناسبة التى أعد من أجلها"، الإسلام والغرب ص٦. "سوف يلحظ القارئ الكريم أن هناك بعض التكرار فى بعض الأفكار أو الاستشهادات القرآنية وغيرها فى بعض فصول الكتاب. ويرجع ذلك إلى أن موضوعات الكتاب قد تنبت فى أوقات مختلفة، وفى مناسبات متفرقة"، المسلمون فى مفترق الطرق ص١١.

(٥) "تتضمن الصفحات التالية مجموعة من المحاضرات والمقالات التى تم إعدادها فى مناسبات مختلفة ونشر معظمها فى صحيفتى الأهرام وأخبار اليوم فى العام الماضى وبداية العام الحالى ٢٠٠٩"، الدين للحياة ص٥.

١٠- يخاطب الفيلسوف الجمهور العريض، العامة وليس الخاصة. فيستعمل القول الخطابى أكثر مما يستعمل القول البرهانى[١]. يخطب فى الناس بدلا من مخاطبتهم. تسود الروح الأزهرية فى المرحلة الثانية، المحاور للغرب، والثالثة، المصلح المهموم بقضايا الأمة. وفرق بين التساؤل الفلسفى البرهانى والدهشة الخطابية. وهو ما يفرض أسلوبه وطريقة عرضه وبساطته. ويجعل الفلسفة أقرب إلى القول الخطابى منها إلى القول البرهانى. وهى مراهنة الفيلسوف، مخاطبة الخاصة أم العامة؟

إن الأستاذ والمحاور والمصلح جوانب متعددة فى شخصية الفيلسوف تجعله أكثر ثراء من الأستاذ الجامعى وحده الذى يخاطب الطلاب أو المحاور وحده الذى يتعامل مع الإعلام أو المصلح وحده الذى يحمل هموم الناس. هى أقوال ثلاثة للفيلسوف، البرهانى للأستاذ، والجدلى للمحاور، والخطابى للمصلح. وبالتالى يتغلب ابن رشد على الغزالى كما حدث فى الغرب بدلا من أن يتغلب الغزالى على ابن رشد كما حدث لدينا.

---

(١) مثل "هل يحدث كل شىء فى هذا الكون نتيجة لصدفة عمياء أم أن هناك قوة عقلية عظمى تهيمن على هذا الكون وتسيطر على مصير هذا العالم؟ هل نحن أحرار فى تصرفاتنا وأعمالنا أم أننا مجبورون كالريشة فى مهب الريح لا حيلة لها فى تحديد حركتها يمينا أو شمالا؟ هل نعرف الحقيقة الواقعة معرفة صحيحة أم أننا لا نعرف منها إلا أحد وجوهها ويبقى معناها العميق خافيا علينا؟"، تمهيد للفلسفة ص٢٩-٣٠.